أنطوني كليفورد قريلنق

سر الأشياء

الحياة و ماذا تعني

المقدمة

تعتبر المعرفة كنز عظيم ولكن هنالك شئ أعظم من المعرفة وهو الفهم بحيث أن المعلومات بنفسها ليست لديها قيمة كبيرة إلا إذا نظمها أصحابها بطرق تجعلها تبدو مفهومة لهم، وتمكنهم ليعملوا بطريقة فعالة وليعيشوا جيداً ، ولإعطاء معنىلتلك المعلومات لكي تكون مفهومة علينا أن نضعها في علاقة مثمرة مع معلومات أخري ونفهم تلك العلاقة.وذلك يتضمن البحث عن إكتشاف الأنماط و تعليم الدروس و إستخلاص الإستنتاجات ونتيجة لذلك نرى الكل. إن مهمة تحقيق الفهم هي مهمة فلسفية من الدرجة الأولي.

هنالك مصادر كثيرة يمكن للناس إستخدامها لتحقيق الفهم، ولكن ثلاثة مصادر لديها قيمة خاصة للفلسفة لأنها تقدم أفضل المواد للتأمل. وهذه المصادر هي: العلوم – التاريخ – الفنون. وتعتبر هذه الأشياء الثلاثة المفاتيح التي تلفت إنتباهنا إلي ثلاثة أشياء مرتبطة مع بعضها البعض والتي نرغب بفهمها و هي: عالم الطبيعة وطبيعة الإنسانية وقيمة كل منهما.

المقالات الآتية مصنفة علي حسب موضوع البحث وتهدف إلى طرق وجيزة وسهلة الوصول لتوضح ما تعرضه للفكر الإنساني.وهذه المقالات مقالات قصيرة تعرض الإقتراحات بدلاً عن البحث كما تهدف إلي الإهتمام بالفكر الانساني وليست حصرية علي إرضائه للفهم الأمثل فذلك يأتي من البحث عن الفهم نفسه. ولذلك تلك المقالات ليست سوي عينة أو تلميح أو إختصار.

تعتبر كل المواضيع الملموسة هنا مواضيع مميزة وتناقش في أماكن أخري بالتفصيل من قبل الخبراء المعنيين وذلك ماينبغي فعله.ولكن واحدة من مهام الفيلسوف جمع الرسائل التذكيرية لخدمة الحوار الإنساني عن تنوع البحوث الإنسانية عن العالم والإنسانية نفسها .

وهنالك هدف آخر من هذه المقالات القصيرة وهو تذكير القراء بما يبدو محيراً في البداية : على أن العبقرية البشرية فعلت الكثير وتوعد بالكثير في طريق

كشف الأسرار من أشياء كثيرة في عالمنا وذلك يتعرف علي سر الأشياء أيضآ. النوع الأول من الأسرار هو سر الجهل، وهو يسبب الخوف والقلق ويعيق التقدم لتحقيق الأهداف ويولد الخرافات والأمور غير المنطقية وفي واحدة من هذه الطرق أو في جميعها نجد مصدر معاناة الانسان الكثيرة . ولذلك يعتبر هذا سر سيء. والنوع الثاني من الأسرار هو السر الجيد وهو سر الجمال والعاطفة كالذي يوجد في العالم الطبيعي وفي أفضل جوانب القلب البشري. فهو مصدر القيمة التي تربطنا بالموسيقى والفنون والصداقة والحب والمتعة و الإستكشاف والأشياء التي تبهر العينين .

هذا السر ينتمي الي عالم الطبيعة و الإنسانية وليس لديه علاقة بالنوع الأول.بالرغم من أن الناس يفهمونهما بسرعة لإيجاد الحقيقة حول سر الأشياء،يجب علينا التفرقة بين النوعين ومعرفة ما يهدفان إليه . وليست هنالك طريقة أفضل من طريقة البحث عبر الدروس الفلسفية التي أخبرتنا بها العلوم و التاريخ والفنون.كانت الفلسفة سابقآ مهنة كل الأشخاص المتعلمين، قبل أن تختطفها الإحترافية الأكاديمية منهم وتحولها إلي سر التقنية.

انا أعلم: بأنني مذنب في هذه القضية بشكل آخر. وهذا ليس تقليل من شأن خبراء الفلسفة الذين سبقوني مع إحترام مواهبهم و لكن لإستخدامهم لتلك المواهب.ويمكن إقتباس ما قالة الكاتب الانجليزي وليام هازلت في هذا الشأن: بأن البحوث التي أجراها فلاسفة اليوم ضاعت في متاهاتٍ من التجديد الفكري أو التعقيدات اللغوية. و كثيراً ماتقدم الشكوى وتتكرر هنا، وذلك ليس لرغبة هؤلاء الرجال للسلطة ولكن لضياعها وليس لغياب الذكاء ولكن لسوء إستخدامه، كان هنالك العديد منهم أصحاب مواهب عظيمة وملتزمون بثقتهم وثرائهم الفكريوشعورهم العميق، و لكنهم أرادوا إخفائها بقدر إستطاعتهم بطريقة خاطئة للتعليم والدقة المبهمة من الأسلوب الذي إختاروه بطريقة منتظمة.و إعتقدوا بأنهم لم يفعلوا شيئآ حتي أفرطوا في البساطة وأتلفوا الطبيعة بالفن. يبدوا أنهم إعتقدوا بأن هنالك تناقض غير قابل للتسوية بين

العباقرة، وكذلك بين الجمال والطبيعة،حاولوا فعل ذلك بإستمرار فأعاقوا الطبيعة، لم يتركوا شيئآ لأثرها الخارجي أو لإندفاعها العفوي بل قاموا بإلواء وتعذيب كل ما يحملونه في أيديهم. حتي جعلوه مناسباً لرأيهم الشخصي ولتصورهم السابق حسب خطتهم، كهؤلاء الذين كتبوا قصائد ذات ترتيب خاص في شكل الأهرام وقطعوا الأشجار وجعلوها في شكل الطاؤوس.إن فهمهم الرئيسي هو أن يجعلونك منبهراًبالكاتب، وليس لترغيبك بالموضوع. وبنحتهم المتواصل بعد الإعجاب به، فقدوا ماكانبإستطاعتهم الحصول عليه بأقل إسرافآوتأثيرآ.

هنا اذاً معلومات مستمدة من المقالات والملخصات وهي منوعات مختلفة ومقصودة من الملاحظات في الفنون والتاريخ والعلوم تم عرضها كرسائل تذكيرية لأهميةتلك المساعي الناتجة عن التفكير.وكمطالبة بالأمر الاخير والذي يعتبر هامآ هو أنني بحاجة إلي سبب سقراط في قوله: أفضل الحياة هي الحياة التي تم الإستفادة منها وأُخذت في عين الإعتبار.

لقد طبعت مقالآ وبعض المقاطع من التجميعات السابقة لأن القارئ يحتاج الي تركيبهم المعنوي هنا وهم:

مقال التاريخ "الرؤية هنا اطول " وبعض الفقرات في صفحة 56 وصفحة 86 ومن صفحة 133 الي صفحة 13.

للحوجة إلي إعادة النقاط هنالك إخترت أن أكرر بدلاً من أن أعيد الصياغ لكي يكون هنالك ترابط مع السياقات الأولي.

كتبت كل المقالات هنا كمقالات أو إستعراضات وأنا شاكر للصحف والصحفيين، فظهرت تلك المقالات مقدمة في برامجهم اولآ. وتشمل تلك الصحف : صحيفة فايننشيال تايمز و قوادين و أوبزيرفر و لتراري رفيو و إندبندنت إن صندي و نيويورك تايمز بوك رفيو وصحيفة نيو ستيمن.

منوعات من الفنون

الفن والحرب والسلطة

الفــن والحــرب ينهيــان الخبــرة البشــرية فــي أغلــب الأحيــان بــالرغم مــن أنهمــا يلتقيــان أحيانــاً فــي الأدب والــذي تكمــن فيــه تصــورات تكــون التعبيــر الفــوري فــي الشــعر أو التــذكر فــي النثــر .لكن الفنــون الجيــدة تســتلزم تــوفير الســلام فالفرصــة لخلــق الرســم

الفنـــي والنحـــت والإســـترخاء الـــذي يحتاجـــه الشـــخص للإســـتمتاع بهمـــا هـــو قســـط مـــن الهدوء.

عنـــدما يـــدخل الفـــن والحـــرب علاقـــة مختلفـــة ومـــدمرة ومتنقلـــة وكـــل الحـــروب المتبنيـــة الحديثـــة تهـــدد بـــإحراق معـــارض الفنـــون وتـــدمير الكاثـــدرائيات والمتـــاحف وتقليـــل التماثيـــل بتحويلهـــا إلـــى حصـــى وثانيـــا تـــدمر المستخلصـــات الغنيـــة مـــن الثقافـــة التـــي شـــكلها النـــاس لمـــدى قـــرون. إنهـــا ظـــاهرة معاصـــرة عنـــدما تحـــارب الـــدول بعضـــها البعض يكون كل شئ في خطر حياة الناس والكنوز الثقافية في المقام الأول.

واحـــدة مـــن أقـــل الحقـــائق المعروفـــة عـــن الحـــرب العالميـــة الثانيـــة هـــي حقيقـــة القـــدر الـــذي عـــانى منـــه الفـــن الأوربـــي ولا ســـيما الســـبب المحـــزن الـــذى عـــانى منـــه كـــل مـــن هتلـــر وهيرمـــان غورينـــغ كانـــا حريصـــان علـــى جمـــع الفـــن، كـــان هيرمـــان غويرنـــغ شـــاملاً فـــي ذوقـــه بينمـــا امتلـــك هتلـــر شـــيئا مختلفـــا بأهميتـــه مـــن الـــذوق وهـــو الفهـــم الخـــارق للطبيعـــة فـــي دور الجماليـــات فـــي البنـــاء وامـــتلاك الســـلطة. بـــالطبع كـــان هتلـــر يعلـــم أيضـــا مايحـــب ومالايحـــب فكـــان يحـــب رســـومات القـــرن التاســـع عشـــر الألمانيـــة و يكـــره الفـــن المـــنحط و الـــذي كـــان يعنـــي الإنطباعيـــة والتكعيبيـــة كمـــا كـــان يكـــره كـــل شـــئ يبـــدو مشـــوهاً أو غيـــر كامـــل. فقـــد كانـــت الرســـومات التـــى تبـــدو غير كاملة تثير غضبه.

و تلـــك الملاحظـــات تـــدل علـــى أن هنالـــك فـــرق آخـــر بـــين هتلـــر و هيرمـــان غورينـــغ فـــي ذوقهـــم الفنـــي. فبينمـــا كـــان غورينـــغ يجمـــع لنفســـه حاشـــداً قصـــره الواســـع المبتـــذل بمنطقـــة كـــارنهول الألمانيـــة بكـــل انـــواع الرســـم والتماثيـــل، أمـــا هتلـــر فكانـــت لديـــه طموحـــات كبيـــرة فتمنـــى أن يحـــول موطنـــه مدينـــة لينـــز بالنمســـا إلـــى واحـــد مـــن ضـــمن أعظـــم أربعـــة مراكـــز ثقافيـــة فـــي إمبراطوريـــة الرايخ.خطتـــه لبنـــاء معـــرض فنـــون رائـــع فـــي لينـــز تعنـــي بـــأن أفضـــل الفنـــون التـــي نهبهـــا الألمـــان مـــن اليهـــود والـــدول المجـــاورة قـــدر لهـــا أن تكـــون فـــي ذالـــك المعرض.وبعـــد نهايـــة الحـــرب جمـــع معـــرض الفنـــون بلينـــز 8000 صـــورة وهـــذا يقـــارب ضـــعف مـــا تـــم بنائـــه فـــي فتـــرة أطول بمتحف ريجكس في أمستردام.

و لكن خطة لينز كانت مجرد جزء واحد من الفنون الكثيرة المتراكمة حول أوربا للعديد من الأسباب خلال فترة هتلر التي كانت 12 عاماً.باع النازيون الفن بالخارج وأتلفوه للحصول على العملة الصعبة.نهبوا الفن من اليهود والأراضي المحتلة. فالفكرة الناجمة عن تجميع متحف الفن القومي الإسباني خلال الحرب الأهلية الإسبانية أقنعت المنسقون في كل مكان في أوربا شاملة بريطانيا بأن تضع خططا لحماية الفن من الغارات الجوية وبقرب العدائيات التي هددت عشرات الآلآف من الرسومات و التماثيل والتحف الفنية والكتب النادرة والمخطوطات تم تحويلها الى أقباء القلاع بأقصى مدينة لوار الفرنسية والمحاجر في ويلز ومخازن الأديرة في أماكن نائية من الريف الإيطالي.

و بدقة إدارة الإحتلال الألمانية المعتادة في بولندا و تشيكوسلفاكيا وهولندا وفرنسا بعد بعض من المقاومة، وفي هذه القضية الأخيرة من الحكومة العسكرية في باريس المحتلة تم تخصيص مخازن كبيرة للفن و إبتكار ظواهر شرعية وهي: تم إعادة اي فن أوربي قبل عام 1500م إلى موطنه على أرضه التى سرق منها في الحروب السابقة. كما صادروا الفن اليهودي ببساطة مع الأثاثات والبضائع الأخرى. وقاموا بحماية مجموعات الفنون العامة وبطريقة رسمية اسموها مسرقات. إشترى هيرمان غورينغ فنه بأسعارٍ وضعها بنفسه،كان السعر بسيطاً اذا أراد أن يبقي القطعة الفنية ومرتفعاًإذا أراد يبيعها.

عندما إحتلت قوات التحالف إيطاليا أولاً ثم إقليم نورمندي أخذوا معهم مجموعة من الرجال ناقصوا العمالة بطريقة يائسة ليس معهم سوى رتبهم الرسمية، مجزؤون لحماية الكنوز الثقافية التي يتم مصادفتها في أماكن الحرب. تمت إدارة تللك المجموعة البطولية مع مواردهم الضعيفة. ويمكن القول بأن نصرهم كان يمنع الولايات المتحدة من أعمال الإستيلاء على الفن الألماني عن طريق تعويض أضرار الحرب. أبحرت فرقة بحوزتها 200 صورة فنية من المنطقة الأمريكية بألمانيا بعد فترة قصيرة من تأسيس المنطقة

حيث كان عليهم تشكيل غطاءاً جميلاً لمعرض الفنون القومي ومن ثم تحت مساحات الحائط المحتلة. ولاكن كانت هنالك مظاهرات صاخبة من تلك المجموعة المكونة من موظفي الآثار الجريئين في ألمانيا ونتيجة للخلاف رجعت الولايات المتحدة إلى الأعمال بعد عرضهم إلى معارض الفنون في مدن كبيرة.

لهذا السبب و لإنقاذ وحماية الفن من الإنهيار الأوربي عند نهاية الحرب، وقد برهن رجال الآثار بقوات التحالف بأن يكونوا أبطالاً لقصة هامة. إنها قصة بلا نهاية لأن أغلب الأعمال التي تلاشتأثناء الحرب مازالت مفقودة كما دمرت الحرب بعض الإنجازات العظيمة في الثقافة المادية لا يمكن إستبدالها. وفي نهاية المطاف هذا هو الخطر الحقيقي عندما يختلط الفن بالحرب.

و لكن دعنا نرجع إلى هتلر مرة أخرى كشخص جامع للفن الإمبراطوري، فأنا أتفق مع قول توماس مان (كاتب ألماني) بأن هتلر رجل عبقري. عبقريٌ جداً بالتأكيد وذو أفكار شريرة فهو عنصري ومصاب بجنون العظمة ومشعل للحرب وسبب للمشاكل الكبيرة المسببة لمعاناة وتدمير الإنسان فهو قاتل في مقدمة عصابة القاتلين حول الحضارة إلى كارثة شنيعة. العبقرية ليست مهمة لخلق كارثة فالغباء يفعل ذلك. ولكن في قضية إعتداء هتلر في التاريخ كانت العبقرية المطلوبة مشوهة ومستخدمة إستخدام سيء ومغذية بالكراهية وأحلام الإمبراطورية العرقية الكبيرة. ولكنها مع ذلك عبقرية. والدليل على ذلك فهم هتلر لجماليات القوة كما في نجاحه السياسي وإنجازاته العسكرية السابقة. هنالك صورة له توضح عن بحثه بإهتمام كبير عن نموذج واسع لمدينته الأصل، نموذج لا يمثل مدينة لينز كما كانت ولكنه خطط بأن يجددها حسب فكرته لتكون مدينة ثقافيه بها معرض كبير لعرض الفنون وبرج يقدم فيه موضوع برنكر الرابع في مناسبات خاصة وفي مربع واسع أمام منزل أوبرا المذود بالأعمده وأشياء أخرى كثيرة. تُظهر الصورة هتلر وكأنه يعتبر نفسه بأنه رجل يهوى الرقي في الفنون لا يرغب فقط ببناء إمبراطورية الرايخ بناءاً

يـــدوم لأف عـــام وإنمـــا يرغـــب ببنـــاء إمبراطوريـــة ثقافيـــة تتفـــوق علـــى معظـــم الإمبرطوريـــات التـــي تعتبـــر أمثلـــة مجيـــدة فـــي العصـــر القـــديم. والـــذي يخيـــف هـــو بأنـــه تـــم تصـــوير هـــذه الصـــورة فـــي فبرايـــر 1945م فـــي مخبـــأ هتلـــر تحـــت مدينـــة بـــرلين عنـــدما إقتـــرب الـــروس وقـــوات التحـــالف الغربيـــة مـــازال هتلـــر يحلـــم بمعـــرض بالأمجـــاد الثقافيـــة والتـــي تعتبـــر مهمـــة صـــعبة فـــي الحرب(لتـــرك مســـاحة للألمـــان لتـــدمير اليهـــود و البلاشـــفة ولإســـتعباد العبيـــد) وقـــد تأجـــل ذالـــك فـــي عـــام 1940م عنـــد رفـــض تشيرشـــل المـــدمر للســـلام فقـــد ذكـــر بأنـــه مـــن الشـــفقة بـــأن عليـــه أن يشـــن الحـــرب علـــى ذلـــك الســـكير بـــدلاً عـــن خدمـــة أعمـــال الســـلام. قصـــد ذلـــك مـــن خـــلال فتـــرة الحـــرب وفـــي كـــل الأعـــوام التـــي كانـــت لديـــه الســـلطة فيهـــا قبـــل ذالـــك فقـــد تحـــدث باســـمرار عـــن طمـــوح دولتـــه الثقافيـــة القديمـــة التـــي كانـــت تتمثـــل فـــي المبـــاني الرائعـــة ومعـــارض الفنـــون ومنـــازل الأوبـــرا والطـــرق الجميلـــة (كـــان ذالـــك الاعـــلان موضوع جمالي لهتلر) ومساحات المدينة الكبرى ستعلن نصر الروح الآرية.

لـــم تكـــن نظـــرة هتلـــر للثقافـــة هـــدف للســـلطة فقـــط ولكـــن لإكتســـابها والحفـــاظ عليهـــا. فـــإن معظـــم تجمعـــات عظمـــاء النازيـــة والأزيـــاء الرســـمية والشـــعارات والأعـــلام كانـــت مـــن فعـــل هتلـــر شخصـــيا، الـــذي كانـــت لديـــه إهتمامـــات دقيقـــة فـــي كـــل شـــيء مـــن شـــارات الـــزي الموحـــد حتـــى كبـــاري الطـــرق ومـــن منـــازل الأوبـــرا حتـــى بـــورش فـــولكس واجـــن كمـــا ســـاهم بمهاراتـــه الرائعـــة لرســـمه لكـــل ذالـــك والتـــي أراد أن يجعلهـــا كـــدعم مســـرحي وقـــد إســـتخدم هتلـــر تلـــك المهـــارات بـــذكاء.هنالك صـــورة تظهـــر تجمعـــات ليليـــة بمدينـــة نـــورنبيرغ الألمانيـــة فـــي عـــام 1936م مـــع أعـــداد كبيـــرة مكتظـــة بالأضـــواء الكشـــافة مـــن كاثدرائيـــة الضـــوء لمســـافة 2500 قـــدم وذلـــك يوضـــح اســـتخدام هتلـــر للعظمـــة بشـــكل مثـــالي فهـــو فهـــم مشـــهد تصـــميمه للأبنيـــة المدنيـــة وصـــالات عـــرض الفنـــون وصـــالات الحفـــلات الموســـيقية والميـــادين وتقـــويس الأعمـــدة الرخاميـــة والنـــوافير والقبـــب كلهـــا مـــع بعـــض بالاضـــافة لذوقـــه للمســـيقى والفـــن كانـــت جـــزء مـــن وظيفتـــه لمســـيرات حاشـــدة لتـــابعي القـــوات النظاميـــة والتـــي اطلـــق فيهـــا عنـــان مهاراتـــه الخطابيـــة المكتســـبة (التـــي تـــدرب عليهـــا) ليبهـــر

كل الشعب بقبولهم المذهل لذلك وبدعمه المحفز. لقد كان هتلر نجم صانع لنفسه فقد أبهر قومه وكل الأعداد بمشية الأزة (نوع من أنواع سير الجنود)وحمل الصليب المعقوف وذراعٌ قوية تُحَيِي صفوف قوات الحماية والميليشيات النازية كما أبهرهم بمنظمة هتلر الشبابية والرياضيون والعساكر وبهتاف الجماهير له (يحيا هتلر) ومساهمته بندائه لدار الأوبرا المحبب له. وكان الشيء الأهم هو وجهة هتلر لكل شيء في الفن والمسيقى التي ألفها الحديثون في الفن من الليبراليين والبلاشفة واليهود والدوليون.

ومن هذا المنظور كلهم مريضون فقد أتلفوا الثقافة والدليل على ذلك هو التدهور في وضعهم وصراخاتهم الحادة وتشويههم للموسيقى الحديثة وتشويههم السيء للفن الحديث يثبت بأن اليهود والبلاشفة لديهم انحراف خلقي وتشوه وراثي في سمعهم. فالمعاصريون كانوا مجرمو طبيعة العالم فقد كانوا بلهاء وغير أكفاء وغشاشين ومجانيين. فكان إستهزاء اليهود والبلاشفة بالفن عمل من الخيال المريض يستحق صانعه أن يوضع في السجن أو في مستشفى المجانين وهذا لم يكن مجرد تعبير بلاغي كالعادة. حيث بدأت الفرق الموسيقية وديار الأوبرا والفن والمدارس وصالات الفنون بإخلاء اليهود وأجناس أخرى غير مرغوب فيهم في الأشهر التي إستولى فيها هتلر على السلطة، إختفى العمل اليهودي من المخزون الفني كذلك إختفت الرسومات الفنية الحديثة من المعارض الفنية. لم يكن هنالك مجال للفنون في المكان الذي كان هتلر محافظاً فيه على الأذواق والرؤى العظيمة لرعاية الرؤية الآرية المحسنة للأمجاد العتيقة التي لم يكن لديها تأثيراً كبيراً. وقد تم نجاح تدمير الإرث الألماني الموسيقي والفني بطريقة سريعة وكانت المحاولة لإنتاج تحف فنية قومية وإجتماعية وتأسيس دور الأوبرا. كما كان عليهم إشباع كل نزوات هتلر المحيرة. فعلى سبيل مثال: بدأ هتلر يكره الأوبرا الهنغارية الخفيفة للملحن فرانتس ليهار بإعتبارها أعمال فاسدة وكان ليهار هو الهنغاري الذي تزوج يهودية وربما لهذا السبب قد تبعهم الى السلوان النازي ثم من بعد ذلك

بـــدأ هتلـــر يحـــبهم و صـــاروا آمنين.وكـــان وزيـــر النازيـــة الألمـــاني جوزيـــف غـــوبلز لديـــه قـــرارات متســـلطة فـــي أغلـــب الأحيـــان حيـــث قـــرر بأنـــه علـــى الملحـــن أو قائـــد الفرقـــة الموســـيقية أوالرســـام أوالكاتـــب أن يتجاهـــل الأســـلاف والأنســـاب وبصـــراحة اعتـــرف بأنـــه اذا لـــم يســـتطيع فعـــل ذلـــك ســـتكون الثقافـــة الألمانيـــة محصـــورة فـــي ثلاثـــة أســـماء. وفـــي هـــذا الإعتـــراف المثيـــر للإهتمـــام يبقـــى الأمـــل بـــأن الفـــن قـــد يستطيع أن يوقف الحرب والاشياء السيئة الأخرى في النهاية.

ألبرتي وعصر النهضة

في القرن الخامس عشر الميلادي كانت إيطاليا غنية بمزيج من الظروف الملائمة والأشخاص الغير عاديين مما جعلها بوثقة النهضة. لإسترداد الماضي الكلاسيكي وتنمية الثروة وثقافة الرعاية وصفات المدن والولايات الايطالية المميزة وتشكيل حكوماتها ووضع خطط لائقة لإزدهار العبقرية الفردية. حيث صار الرسامون والنحاتون والمهندسون المعماريون والشعراء وعلماء ذلك الزمان مبدعين. كما إهتم الإيطاليون برعاية البابوات والعائلات العظيمة كعائلة ميديشي وعائلة استي وغونزاغا وهذه العائلات قد حكمت لعهد من الزمان وجعلوه واحداً من أروع العهود في تاريخ الفن والفكر.

وقد صار الإستهزاء بفكرة عصر النهضة عصرياً.وبطريقة مؤثرة و مرهقة مابعد الإستهزاء الذي وصف معيار رؤية عصر النهضة كتبسيط مؤرخ التاريخ والثقافة يعقوب بوركهات حتى في

النكران بأنه ليس هنالك شيء يسمى عصر النهضة على الإطلاق وقد رفض تلك السخافات شخصيات مثالية عاشوا وشهدوا ميزة تلك الفترة، الرجال العالميين الذين بذلوا كل مجهوداتهم لأدب الجنس البشريوكل الفنون شاملة الهندسة المعمارية والتأمل النظري ممثلاً لكل الخبرات البشرية التي جمعت كشيء واحد وعلى قناعة جميلة. من فدريكو دا مونتيفلترو (قائد إيطالي ناجح في النهضة الايطالية م1422–1452م) و دوق أربينو الذي كان يقرأ لأرسطو في كل موعد إفطار آخذاً قيادة جيشه المحترف من المرتزقة الى عباقرة ليوناردو دافنشي الغير مؤهلين وكانت فترة المحاولة طويلة ونتائجها رائعة كما نستطيع فعله اليوم إذا فكرنا تفكيراً جيداً.

كان ليون باتستا ألبرتي (المهندس المعماري والرسام الايطالي) شخصية رائعة في عمره الذي عرف بانجازاته الرائعة. فقد كان أفضل شخص عرف بعمله الكلاسيكي البسيط في الرسم والذي أسسه على طريقة تقنية لذلك الفن حسب القواعد التصويرية والذكية والتي تتبني على التدريس لذلك أصر ألبرتي على فهم الطبيعة نفسها. فالجمال هو نوع من التعاطف و التناسق لتشكل الكل وبعد ذلك كتب في مقالاته في الهندسة المعمارية علاقة سماها جمال الأسلوب والذي وصفها بخصوص عدد معين مختصر أو للإختصار والموقف. حيث إنتقلت مبادئه الجمالية والتقنية من يدٍ الى يد وتم رسمها من دراسة قريبة من الكلاسيكية القديمة والتي جعلته واحداً من المحيين لذلك الجمال.

ولد ألبرتي بمدينة جنوة الإيطالية في عام 1404م وكان إبناً لأسرة غنية ومتميزة أتت من مدينة فلورنسا الإيطالية وتوفي بروما في عام 1472م .

درس البرتي الأدب الكلاسيكي والقانون وصار موظفاً مدنياً بالمحكمة البابوية. وقد جلبت له خدمته هنالك المنافع والإحترام وعبقريته التي تتراوح بين كتابة المسرحيات الى دراسات متخصصة بالأثريات والمتاجر ومن البحوث الموثوقة في الفنون الى ممارسة الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني مما جعل أبناء عصره يحبونه ويحترمونه أكثر. رأى كاتبه المفضل أنتوني جرافتون بأن تأثير المعاصريين و الخلفاء كان متنوعاً ومهماً. فقد لعب ألبرتي دوراً فعالاً في إنعاش البساطة الكلاسيكية في الهندسة المعمارية وصاغها فيما تعلمه من دراساته العلميه للآثار الرومانية. طلب ألبرتي من الرسامين والنحاتين أن يَدرسوا علم التشريح ليس فقط من الخارج بل حتى العظم والعصب تحت الجلد وفي غضون سنين من النشر بدأ الرسامون يفغلون ذلك. فقد

لعب البرتي دور أعظم مهندس معماري مثل برونليسكي(مهندس من مدينة فلورنسيا،كان أول مهندس معماري عظيم في عصر النهضة الايطالية 1377م_ 1446) فكان مثل المختصين في هذا المجال في عصر النهضة فكانت الهندسة فن لا يمكن تجزئته. وفي كتاباته بالعربية واللاتينية ساعد بكتابة مفردات مناسبة للتعبير عن المساعي التقنية الجديدة لعصر نهضة الفنون كما ساهم أيضاً بشكل كبير في المحور الأخلاقي والاجتماعي.

كانت مساهمته في العمل لخلق عالم غني و متجاوب اجتماعياً: ليس فقط لإنشاء كتابة عن الفن ولكن نموذج لكل أنواع المجتمع الفكري والفني كما يقول جرافتون بأن البرتي يستحق كل الشكر والثناء. فقد كان ألبرتي إنسانياً حقيقياً يؤمن بأن الأفرد يستطيعون الوصول الى أشياء أعلى اذا دربوا أنفسهم على الإنضباط والتكريس . كان ألبرتي يَعلم الرياضيات كعلمه بالأدب الإيطالي القديم وقد رأى مالم نراه في أعمارنا المبكرة من التخصصية بأن كل شيء مترابط ومشترك ومتبادل. و هذه هي النهضة الحقيقية للروح الإنسانية.

الفن والشرق

قام أربَاب عمل جنتيلي بليني (رسام ايطالي من مدرسة مدينة البندقية) ومجلس شيوخ مدينة البندقية بتقديمه للمحكمة العثمانية في إسطنبول في عام 1479م وهنالك رسم صورة شهيرة للسلطان محمد الثاني. وتنتمي الصورة الآن إلى معرض الفنون القومي البريطاني حتى إعتقدها الناس مؤخراً بأنها مجرد نسخة. فأمنت هذه الصورة ميزة بليني التي نتجت عن فهمه السامي الناتج من العلاقة بين نهضة أروبا وجيرانها الغربيون والحدود بينها يسهل اختراقها ويسهل فيها التبادل اكثر مما عرفه التاريخ وفي تقاليد بوركهارت(مستكشف وكاتب ومؤرخ الفن السويسري الجنسية)هذه الطريقة عاملت النهضة الأروبية كظاهرة الذات المغلقة ويرجع ذلك الى ما تبقى من الشرق. و لكن ليزا جاردين (عالمة التاريخ البريطانية وبروفيسور في دراسات عصر النهضة) وجيري بروتون (محاضر في دراسات عصر النهضة) قد تحدا تلك التقاليد بطريقة مثيرة للإهتمام في مصالحهم العالمية: نهضة الفن

بين الشرق والغرب. وتجادلا بشكلٍ مقنع بأن الصواب عكس وجهة نظر بوركهارت، بأنه بالطبع هنالك قصة ثورية لم تُحكى، قصة عن الغاز المشترك بين الغرب والشرق والطبيعة الحقيقية لعصر النهضة. حيث سَألا من الذي يعلم من بأننا سنكتشف هويات ثقافية غير مألوفة لبناء المستقبل وإثراء فهمنا عندما خرقنا الحدود لإخلالنا التاريخي؟ لم تكن المسألة تاريخية فقط وإنما لفهم جديد لتلك العلاقات والإقتراحات إستطاعت أن تجعل العالم الآن مكاناً أفضل.

تناقش جاردين وبروتون حول قضيتهما بالنظر الى ثلاثة محاور رئيسية للتقدير والرغبة وهي : ميداليات اللوحات و المفروشات و الحصون. ومن المؤكد بأن هذه الأشياء الثلاثة كانت أهداف التجارة والتأثير الثقافي بينالحكومات الأروبية والسلطنة العثمانية كما تظهر ذلك العديد من الأمثلة ومن المؤكد بأن لدى الكتاب دوراً رائعاً حينما قالوا بأننا مخطؤون إذا إستمرينا بفكرنا عن النهضة الأروبية وكأنها تغلق الكيان التاريخي بإحكام. تعتبر لوحة كارباكسيو (الرسام الايطالي فيتوري كارباكسيو) للاسطورة سانت جوج في المجلس الأعلى للجامعات بمدينة البندقية مليئة بالترف والعباءات والعمائم، ولوحة السفراء التي رسمها هولباين(الرسام والنحات الألماني) والتى تظهر فيها السجادة العثمانية تغطي الطاولة دليلان قويان لإنهاء النقاش .

ولإهتمامهم بازالة مبدأ بوركهات للنهضة مع معارضيه المعروفين بذاتهم للغرابة الواضحة و الغربيون السلبيون الآخرون بطريقة غريبة، ركز الكُاتب على القرن مابين 1450و 1550م. وكان ذلك الزمان مناسباً لقضيتهم لكونه أول قرن بعد سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين (كان ذلك الحدث العظيم في مايو 1453م) وكانت هذه أيضا الفترة الرئيسية لدراسات النهضة التقليدية مع إكتشافت كثيرة في إيطاليا لوحدها وفي تلك الصعوبات قد يكون مؤرخي الفن معفيون لعدم إكتراثهم للأسواق وتجمعات الخيول ببغداد وأماكن أخرى لمواصلة بحوثهم.

لكن هذا الخيار من التركيز يثير التساؤلات. قد يقول ناقد بأنه علينا أن نكون أكثر دقة لمعرفة الشرق جيداً. العلاقة التي طالت بين مدينة البندقية والأجزاء الاخرى من العَالَم تؤكد بأن الشرق الأوسط قادر على الوساطة والمساعي الحميدة والنفوذ لمواصلة هذا المسار لأماكن بعيدة حتى كالصين التى تقع البندقية نفسها غرباً منها. ولكن صارت قصة الكتاب عن تجارة الخيول التي كانت لديها سفن برتغالية تسافر عبر المحيط الهندي بين مدينة غوا الهندية ومدينة عدن أيضاً ويشمل هذا مدى الأماكن الأخرى في القصة شاملة تونس(عاصمة تونس)وقطاع شمال افريقيا معروفة وكأنها تتعلق بالسؤال عن تأثيرات الفن الاروبي تحديداً. ولاكن في وقت قريب يتذكر المرء أن معظم هذه المنطقة الشرقية لم تكن مألوفة للأروبيين لفترة طويلة ولكن من نواحٍ مهمة لم يكن الأمر كذلك. السبب الأول أن الإسلام كان بالفعل جار وصديق قديم وحميم. وصل الاسلام قلب أروبا الى مدينة بواتيه قبل فترة طويلة في عام 733م ولكي أكون دقيقاً لقد كانت هنالك إمبراطورية إسلامية في إسبانيا قريبة جداً من المركز الأروبي للجاذبية الأرضية لسبعة قرون بعد ذلك الزمان. وكانت القسطنطينية جزء من أروبا حتى عام 1453م وبقيت جزء من تاريخها بعد ذلك، وبما يخص ذلك هنالك سبب واحد جيد جعل التواصل بين الدولة العثمانية و أروبا فعالاً حتى أغلقت حروب البلقان الحدود والعقول في القرن السادس عشر والسابع عشر وهل إستمر ذلك ليكون محبوباً للأروبيين لفترة طويلة بعد الغذو،حيث كانت أروبا مليئة باليونان ومسيحيو فينيسيا(البندقية) وسط الآخرون الذين سافروا ذهاباً إياباً وكأنهم قاموا بالتجارة بإتجاهين بالطريق القديم .

والنقطة الثالثة هي ان الحروب الصليبية السبعة وخاصة المستوطنة من قبل قرارت الأروبيين داخل وحول فلسطين بعد أول حرب لهم، فالعيش بالجوار (بالرغم من النزاعات المتعددة) مع الاعتقاد بأن مايحدث مألوفاً للجميع. كل ذلك بمثابة القول بأنه عندما نأتي الى فترة عصر النهضة فإن التاريخ يشمل

الشـــرق بـــالطبع ولكـــن لـــيس كمفاوضـــة بـــين النطاقـــات الثقافيـــة المنفضـــلة بشـــكل كبيـــر كمـــا يضـــعها الكتـــاب وانمـــا كمـــؤثر أساســـي لعصـــر النهضـــة نفســـه.ليس هنالـــك شـــرق او غـــرب حقيقـــي ينقســـم فـــي فتـــرة كهـــذه ولاكـــن عنـــدما تكـــون المنطقـــة كبيـــرة هنالـــك آراء كثيـــرة. حيـــث أتـــى الانفصـــال الأكبـــر مـــؤخراً و ظهـــر نـــاتج علاقةالعنف عندما جدد الجيش العثماني الشعور الأروبي بالخطر.

الحقيقـــة فـــي مضـــمون هـــذا الموضـــوع هـــو أن أكثـــر شـــيء يقلـــق الكُتـــاب قـــد فقـــدوه فـــي القـــرن التاســـع عشـــر فـــي صـــياغة قصـــة عصـــر نهضـــة الفـــن ولـــذلك يقومـــون بخدمـــة صـــياغتها بوضـــوح. يحتـــاج التـــاريخ الثقـــافي الـــى منظـــور أكبـــر كمـــا أمـــروا بـــذلك وكمـــا تعكـــس اقتراحـــاتهم. فمـــن المُخطـــئ أن تعتقـــد بـــأن هنالـــك شخصـــاً يســـتطيع شـــرح كـــل شـــيء عـــن قـــارة أروبـــا، عـــن فنهـــا وتطـــوير العلـــم فيهـــا وتاريخهـــا الاجتمـــاعي والسياســـي بطريقـــة كافيـــة بالجهـــل عـــن علاقاتهـــا القويـــة مـــع حـــدودها الشرقية والغربية.

بُريجل(هكذا) و بُروقيل(هكذا) و بُروغيل(هكذا)

كتبـــت أســـماء ابنـــي بيتـــر بُريجـــل بطريقـــة مختلفـــة، ليســـت مختلفـــة فـــي اســـم ابيهمـــا وحســـب وانمـــا مختلفـــة فـــي كتابـــة اســـميهما ولـــذلك فإنهمـــا يعرفـــان كـــالآتي : بيتـــر بُروفيـــل هـــو الأصـــغر وجـــان بُروقيـــل الأكبـــر، فـــالحيرة بـــين الشخصـــيات الجديـــدة فـــي عمـــل بُريجـــل وبُروقيـــل لـــم تتوقـــف هنـــا، حيـــث نســـخ الولـــدان نســـخ كثيـــرة لأعمـــال أبيهمـــا وبأمانـــة كبيـــرة لـــم تســـتطيع العـــين الهَاوِيَـــة أن تُميـــز بـــين عملهمـــا وعمل أبيهما مالم يكتبا تعليقاً على ذلك.

يعتبـــر بُريجـــل وإبنـــاه الشخصـــيات الرئيســـية فـــي ســـلالة الفـــن الفلمنكـــي الـــذي إزدهـــر بـــين الأمـــم. قـــام بيتـــر الأصـــغر وجـــان الأكبـــر بتفســـير ونقـــل إرث أبيهمـــا ولـــيس هنالـــك شـــك بأنهمـــا أتلَفـــاهُ، فكلاهمـــا كانـــا ينســـخان لوحـــات أبيهمـــا الشـــعبية كَرَجُلَـــي أعماليكسبان عيشهما ولديهما السبب لرفع سمعة بُريجل برأس مالٍ كبير.

كانت حياة بيتر بُريجل المليئة بالإنجازات لم تدم طويلاً، فقد ولد في عام 1528م وتوفي بعام 1569م حينما كان أحد إبنيه في السنة الخامسة والآخر في السنة الأولى .(كان جان هو الأصغر. وكأن هذه التواريخ تظهر بأن الأبن الأكبر يعلم القليل إذا كانت هنالك أي تعليمات من أبيه). بعد زيارة بُريجل لإيطاليا في بداية عام 1550م و إنبهاره بمنظر جبال الألب أعاد بُريجل البنية الخيالية حيث باع عمله للشعب الفلمنكي وخاصة للرسامين الذين تم تعيينهم من قِبل هيرونيموس الديك(هيرونيموس ويلنس دي كوك رسام فلمنكي1518م_1570م) من مدينة أنتويرب (مدينة بالقرب من الحدود الهولندية) . رسم بُريجل في الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته لمجموعة صغيرة من زبائنه المقربون تاريخ كل أعماله العظيمة في فترة حياته. فقد رسم منظر لحياة الفلاح وتوضيحات للأمثال ومناظر المدينة وأشياء دينية ممذوجة بالملاحظات الإجتماعية الكبيرة لعَالَمَه المعاصر. وكان لدى هيرونيموس بوش (رسام هولندي 1450م_1516م) تأثيراً و لكن بُريجل تجاوز ذلك التأثير حيث رسم بذوقٍ رفيع ومقدرة ذهنية زادت من الشعبية الكبيرة لأنواع الرسم. يُكمن زكاء بُريجل في وثائقه المفصلة الملحوظة عاطفياً وفي أغلب الأحيان فكاهياً. فعمله مُفعم بالحياة والطبيعة التي لا هوادة فيها. ففي بعض رسوماته الحدث الرئيسي للقديس بول مصاب بالعمى و إنهيار المسيح تحت الصليب تكاد تكون ضائعة من منتصف المسافة من مشهد مزدحم بشكل مزعج، في كل إتجاه الحشود في حالة إشارات وعواطف وعلى هامشٍ من الحبكات الجانبية التي تغوي العين. إن قصده أن يوضح كيف خطرت العصور السابقة على البال في ظل الحوادث اليومية وفي أغلب الأحيان عنما تكون هنالك أشياء أكثر ازعاجاً في الحال ويأتي حدث زائل يعتلي الصدارة. وهكذا أظهر الحياة كما هي مليئة بالمشغوليات والصعوبات ومليئة بالكفاح على خلفية الإحتفالاتومناسبات الزواج والألعاب والرقصات التي وصفها تجعل ذلك منطقي للغاية في التخلي عن المشاغبين من الراحة التي يقدمونها. حيث كانت هنالك أضحوكة الفلاحين والخمر والتبول في الحائض

والحماقات المثيرة في تزاوج الأغنام. وعلى مدى إحساس موسيقى مِزمار القِربَة(آلة موسيقية صوتها كصوت القربة) الهولندية، والجعة مسكوبة على الصلصال الجاف عند تبادلهم لها. يواجه بُرجيل كذب في نهاية المطاف كالذي يواجهه بوتيتشيلي (فنان إيطالي مختص بالرسومات الأُسطورية والدينية 1444م-1510م) فإنهم هزليون في وقاحتهم ينتمون إلى أنواعٍ مختلفة من جمال الفن الأوروبي الملائكي. ويبدو أن الفلاحين ذاتَ صلةٍ بالزخارف الوردية المبهرجة من صنع روبينز (رسام الفلمنكية) و فان دايك (رسام فلمنكي) ولكن العلاقة مقطوعة بسبب الفقر ورياح الشتاء الباردة والقرب الحميم مع الخنازير والأبقار تشارك الفلاحين مساكنهم المنخفضة المبنية من القش.

ومع ذلك فإن هنالك شي غامض في بُريجل. فالمقدمات الهولندية تتناقض مع الخلفيات الإيطالية، رسموها وكأنها مع لوحات مختلفة ومزاج مختلف. قطع الفلاحين الفلمنكيين ذو الأنوف السميكة الخشب أو تجولوا عبر الجليد من قبلنا بينما كانت عاصفة البحر الأبيض المتوسط تحطم الأقدام على بُعد مسافة وإنهار إيكاروس (إبن دايدالوس اليوناني) ومات بطريقةغير متوقعة وسط الجبال التى تعلوا فوق أنهار عظيمة و واسعة وقُلاع تزخرف منحدراتها. والتناقضات دولية وقوية.

مع هذا الإنجاز كمؤشر واحد من السهل أن نحكم على عمل الأبناء، ومن غير تردد يعتبر جان الأكبر الفنان الأفضل بين الإثنان بالتأكيد فهو فنان عظيم. بينما تقاليد بيتر الأصغر لعمل بُريجل هي تقاليد سطحية وخشبية و قد إهتم بها . لقد تميزت أعمال جان بالشكل التوضيحي الممتاز والمهارات العالية لفنان المنمنات(المنمنات جمع منمنة وهي صورة مزخرفة في مخطوط) بالرغم من أنه قلد أبيه بسهولة وبشكل معقول فإنه قرر تلوين عمله المستقل بالطريقة الإيطالية، وأضاف بهذه الطريقة مخمله المشهور(وقد عُرف بمخمل بُروغيل). تعتبر لوحاته الزهرية على وجه الخصوص تعبيراتٌ لذكائه لأنها

تُظهر بطريقة مهمة قوة الملاحظة ودقة التقنية والتي إكتسبها وطورها من أعمال أبيه. بدأت تلك المقالة من روح كونفوشيوس لتصحيح الأسماء (كونفوشيوس هو فيلسوف صيني، قال بأنه سيصحح الأسماء إن كان حاكماً) وقد تصير على تلك الطريقة أيضاً. هل الخلط في كتابة اسم بُريجل تَعَقدُ من نطقه ؟ بالفلمنكية (ue) مع (fur) وبالألمانية (eu) مع(boy). صار النطق الأخير لبريجل شائعاً فقد وضحه بعض الخبراء. وعلى ضوء حقيقة السباق الفلمنكي الضئيل بشكل غير مناسب لفن وموسيقى أروبا فإن لديهم الحق لنطق أسمائهم بطريقتهم الخاصة. فليس هنالك شك بأن كونفوشيوس بلغة الكلام الصينية ينادونه بإسم قونقزي (ينطق قونقزير) بإتفاقهم عليه.

الفن والطبيعة

خدم كل من الفن والشجاعة تقدم المعرفة بشكل دائم ولكن ليس على نحوٍ مدهش كما في الفترة بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر حينما كانت العلوم الأروبية مسيطرة على العالم. وقد أثبت ذلك الفنانون وخبراء الطبيعة الذين عاشوا في ذالك العصر كالقبطان كوك (بحار ومستكشف إنجليزي ويعتبر من أهم المستكشفيت الأروبيين في عصر التوسع الإستعماري) وماثيو فلندرز (ملاح انجليزي ومكتشف وعالم له الفضل في مسح سواحل استراليا) في رحلاتهم الإستكشافية البطولية لأبحاثهم في أماكن بعيدة في الكرة الأرضية. وتحت قيادتهم أشخاصٌ شجعانٌ ومتحمسين أخذوا معهم دفاتر الرسم وجُرار في معانات الرياح التي تهب على الخرائط الملاحية و لكي يجلبوا رؤى الطبيعة التي لم تخطر على العقل الأروبي من قبل.

تنتظر الخيالات المتلهفة في البلاد لتري ما إكتشفه الرحالة ومن المهم أن يكون الرسم والطلاء دقيقاً على ان تمثل العينات وتكون التقارير الكتابية مكتملة.يعمل غير البحارة كمراقبون لعالم العلماء فكانوا مهمين لكابتن السفينة وضرورياته الكثيرة للتجارة أو البحث ولذلك كان عليهم أخذ فرصهم حينما

كان بإستطاعتهم فعل ذلك، كما فعلوا في المخاطرات التى تحدث من حين لآخر لرسم مرض أو حتى جريمة قتل على أيدي سكان العالم الجديد الذي إكتشفوه المهينة. قصتهم وعملهم يجلبان معاً الأعمال الفنية والعينات البيولوجية ليوضحوا جزءاً عظيماً من تاريخ المعرفة وقد صار ممكناً عن طريق خدمات معينة قدمها الفن والعلوم معاً قبل انفصال ثقافتي سنو تشارلز بيرسي(راوي إنجليزي ذو مواهب متعددة) .

يوجد المجسم الرئيسي لهذا العمل بمتحف لندن القومي للتاريخ والذي يعتبر ثالث أضخم مركز لجمع الأعمال الفنية في الورق وكل ذلك يتعلق بالمجال البيولوجي. ومن ضمنها مجموعة ثمينة من التخطيطات والرسومات من تلك الرحلات وهنالك الكثير منها كعمل العبقري فرديناند بيور(المصور النباتي الإسترالي) ذو الجمال الخلاب. إمتلك المتحف في بضع سنين مضت معرضاً غير معتاد عليه حيث وضعوا صوراً بقرب العينات التي صوروها والمعرض الأخير أيضاً من مخازن حماية الطبيعة التابعة للمتحف. لقد كان إقتراناً رائعاً : حيث يشكل الرسم الحقيقي والعينات الحقيقية مجموعة قوية من الناحيتين الفنية والتاريخية للعلوم. حيث كانت صور النباتات والحشرات والأسماك والطيور والوحوش مرسومة بطريقة مذهلة وفطنة. للعينات تأثير متساوي : كالنظرة على جوز طيور البرقش التي تعيش في جزر الجالاباجوس، واحدة بمنقار صغير لأكل الحشرات والآخرى بمنقار قوي لتكسير الحبوب، وبشكلٍ صامت ولكن ببلاغة واضحة، وبذالك التباين تكمن نظرية داروين للإنتقاء الطبيعي (تشارلز روبرت داروين هو عالم تاريخ طبيعي وجيلوجي بريطاني وهو صاحب نظرية الإنتقاء الطبيعي). وهذه هي طيور البرقش الرائعة، طيور البرقش الرائعة التي جلبها داروين على سفينة بيغل (بيغل هي سفينة تابعة للبحرية الملكية البريطانية سميت نسبة الى سلالة الكلاب الشهيرة قضى فيها العالم تشارلز داروين معظم وقته في الرحلة) للديار.

هنالك خمسةُ رحلات لن يستحقون شيئاً. الأول هو إستكشاف هانز سلون لغرب الهند في عام 1687م-1689م(هانس سلون هو طبيب إنجليزي ايرلندي وعالم أحياء وجامع تحف أوصى قبل وفاته بأن تذهب التحف الى العامة فكانت من نواة المتحف البريطاني) و هناك في ذلك الإستكشاف بدأ حاشداً حجرة العجائب والتي أوصى بها لشعبه فصارت نواة المتحف البريطاني. بينما إكتشف هنالك الشوكولاتة وباع الوصفة لصيدلية لندن اولاً ثم لشركة كادبوري التي سوقتها بإسمه.عندما أبحر القبطان كوك في محاولةٍ بعام 1768م لجمع معلومات فلكية وجغراقية للقوات البحرية وكان معه عالم نبات متحمس إسمه جوزيف بانكس وهو شخص غني دفع لنفسه ولمجموعة علماء الطبيعة ليسيروا سوياً . وكان برفقتهم عالم الطبيعة الموهوب سيدني باركنسون والذي أنتج حوالي 900 صورة شاملة صورة حيوان الكنغر التي رسمها الأروبيون لأول مرة وقبل التعرض للمرض اسرعت تلك المحاولة لتعود الى الوطن.

صار جوزيف بانكس عميد الإستكشاف وصديق لجورج الثالث وعضو من أعضاء المجتمع الحاكم فقد كان ذو مكانة عظمى. ساعد بانكس في تنظيم سفينة بانتي المشؤومة المصير لقائدها القبطان بيلي(بانتي هي سفينة البحرية البريطانية في عام 1789م، تمرد جزءٌ من طاقم السفينة على القائد وليام بيلي وجعلوه يطفو على قارب) في عام 1787م-1789م وشحنها بالخراف بأسرع وقت لترسو الى استراليا. ومن أهم إنجازاته أنه شجع الحكومة البريطانية بإرسال ماثيو فلندرز لعمل دراسة بسواحل استراليا. وذهب مع الباحث فلندر عالم الطبيعة الموهوب روبرت براون (عالم نبات إسكوتلندي واحد علماء الخلويه وهو الذي لاحظ وجود النواه في الخلية وكان مهتماً بالدراسات الطبيعية فشارك في حملة فلندر). والفنان الموهوب فيردناند لوكاس بوير(الفنان والرسام التوضيحي النمساوي الذي سافر مع بعثة ماثيو فلندرز)

والـــذي انـــتج حـــوالي 2000 مـــن الرســـوماتِ ذات الدقـــة المذهلـــة والجمـــال . استخدم فيها نظام التميز بالألوان المركبة فقد لفت بوير إنتباهه للحياة

ورســم اصــداراته بعــد ذلــك. حيــث كانــت رســوماته النباتيــه التوضــيحية مفصــلة بدقــة ورســوماته الحيوانيــة عــامرة الدلالــة وعاطفيــة وفعــل ذالــك اخيــراً فكانــت ميــزة عرض دائمة.

رســم فلنــدر خريطــة اســتراليا بينمــا رســمت ســفينة بيغــل للقبطــان روبــرت فيتزوري(ضــابط بحــري وعــالم أرصــاد جويــة بريطــاني انجليــزي) قطــاع شــمال أمريكــا. كــان تشــارلز داروين فــي عــز شــبابه فقضــى فــي الجيلوجيــا(علم الأرض) زمــن أكثــر مــن الــذى قضــاه فــي علــم الأحيــاء و لكــن بــالرغم مــن ذلــك جمــع بيانــات لا يــزال لــديها خــلاف دينــي وثــورة فــي العلــم. لــم يــرى فــي بدايــة الأمــر أهميــة طيــور البــرقش وبــالتمرين علــى تطــوير نظريتــه فهــم شــيئاً عــن منقــار تلــك الطيور.

تظهــر الرحلــة الخامســة للبشــرية بُعــداً جديــداً للإستكشــاف عبــر طريقــة جديــدة. حيــث تــم ارســال المتحــدي المخصــص للبحــث فــي عمــق البحــر. فظهــرت العلــوم الجديــدة كعلــم البحــار والمحيطــات فــأظهرت عــالم الحيــاة الجديــد الغيــر متوقــع والغريــب. إنهــا أول رحلــة إستكشــافية تقــوم بشــكل منهجــي علــى التصــوير، ناتجــةً مــن ضــمن الأشــياء التــي قامــت بهــا أول تصــوير للجبــال الجليديــة تحــت البحــر. وإختتمــت تلــك الصــور عمــل الفنــانين وخبــراء الطبيعــة الــذين أظهــروا لأروبــا أولاً أعظــم كنــوز العــالم. وبــالرغم مــن ذلــك فــإن تلــك الفنــون و العلــوم بــدأت تنقســم وتُنسى بداياتها الأصيلة ذات الخدمة المتبادلة.

التجميع

يعتبر تجميع الرسم والأشياء والكتب(الكتب التي كتبها الأروبيون قبل عام 1501م) والطوابع أو الصدف البحرية ناتج من العلوم. كما تعتبر القراءة عن الجامعين وتاريخ التجميع مشوقة كعملية الجمع نفسها وليست بأقل من ذلك لأن هنالك مجموعة من العجائب تحولت من عصر التنوير و مابعده إلى متاحف متألقة تدعم تقدم البحث العلمي، مثل متحف الإمبراطور كونست كاميرا في القرن السادس عشر ومتحف الامبراطور رودف (المعروف بأركماندو) أو بستاني جون ترادسكانت دوق باكنغهام(الدوق شخص نبيل تاريخياً أقل رتبة من الملك او الملكة وباكنغهام هي دائرة إنتخابية في المملكة المتحدة) الذي صنع تابوت الأعاجيب والذي يحتوي على يد حورية البحر وصلب المسيح والأحزية التركية والأسماك والعلاجيم.تلك المغامرات المبكرة تجلب فضوليات العالم مع بعضها البعض ليتم إظهارها والتفكير فيها وتعتبر من الخطوات الأولى نحو إطار التفكير الحديث حول الطبيعة .

لكن جمع الفضوليات وحدها ليس كافياً للأغراض العلمية إنما يعتبر ذلك البداية فقط. يعتبر تجميع السير جون سوني (مهندس معماري بريطاني جامع للفن ولديه متحف بإسمه) أروع من المتحف البريطاني والذي جذب إحتقار العظيم كارلوس لينيوس(عالم نباتات وكان طبيباً وجيلوجياً ومربِ وعالم حيوان) لأن ليس هنالك منطق لتنظيمه. وذلك الإحتقار يعتبر تحولاً من الفضول الى العلم و الذي يحتاج الى تركيز أكبر يستخلص إلهامه من

مجموعة المختصين مثل د. فريدريك رويش(عالم النبات وعالم في علم التشريح). فهو خبير في التحنيطركز على جثث الأطفال الذين ماتوا في قنوات أمستردام. رفعت إبنته راتشيل جميع الجثث او جزء من أعضائها برباط (وكان من حقها ان تحتفل بذلك العمل بعد ذلك). أُعجب بيتر العظيم(حاكم روسيا في ذلك الحين) بجمع ريشيل، فإشتراه وحمله بالسفينة الى روسيا حيث يستطيع الناس رؤية جزء من ذلك الفن.بدأ جمع الآثار الدينية قبل ذلك الوقت. كان تمثال الأسطورة سانت دينيس على يد أبوت سوقر أول شيء تم جمعه بطريقة منظمة. فإشتعلت الموضة وإمتدت بشكل مطمئن: صارت مدينة كلونيا مليئة بالآثار المقدسة (من ضمنها الشهيدة أرسولا وصاحباتها العذارى) لذلك كانت أقدس مدينة في العالم. تحتوي وعاءات الذخائر المقدسة بالعالم على عظام بابوية ودم المسيح ومسامير وخشب الصليب، لتزود بكمٍ هائلٍ من تلك الأشياء لمراتٍ متعددة. الأثر المقدس الذي إختفى عن الأنظار بطريقة محزنة هو فلقة السيد المسيح (يسمونها الفلقة المقدسة ويعتبرونها الجزء الوحيد الذي تبقى من جسد المسيح) عندما كانت هدفاً لكثيرمن التبجيل بين النساء العقيمات اللواتي توافدن ليُقبلوا الوعاء الذي يحملها.

وهذا يذكرنا بأن الأشياء التي يرغب بها هواة الجمع كانت غريبة في أغلب الأحيان. عرضت دار كريستيز ذات مرة مايصف بدقة وتر محنط من جسم نابليون(وفقاً لسيدة سيئة السمعة كانت في وضعٍ جعلها تعلم، انه أصغر من جزمة ويلينغتون). يذكرنا ذكر دار كريستيز ايضاً بأن عمر هواة الجمع الأمريكان الأغنياء جداً توافق مع الوقت الذي صار فيه العمل الفني الأروبي أغنى وأنفع شيء في العالم ويمتد غرباً عبر المحيط الأطلسي بكثرته. فالفن دائما يتبع الإمبراطورية بتلك الطريقة.

يوضح تاريخ الفن شيئاً مدهشاً وهو: فضول العقل البشري الذي لايرتوي من المعرفة وحبه لعجائب العالم.

مُدن عدن

في حرب الخليج ومن ضمنها العراق عندما كان الطيارون ينظرون إلى الأسفل من قمرات قيادة طائراتهم المقاتلة فوق ذلك الإقليم كانوا يرون مدينة عدن، موطن ليس للبشرية وإنما للحضارة. التضاريس من ضمنها الأرض المليئة بالإيحاءات في المكان الذي يلتقي فيها نهري دجلة والفرات ليجريان الى الأهوار العراقية ويتلاشان هنالك في الخليج الفارسي.توجد شمال المستنقعات بين نهر الفرات وهوامش الصحراء أول مدينة عرفتها البشرية وهي: مدينة إريدو. إذا طارت طائرة طراز 16 من تلك المدينة التى عمرها 7000 عام في الإتجاه الشمالي الغربي فوق السهول الرسوبية نحو مدينة بغداد الحالية بمسافة 400 كيلومتر سوف تجتاح التضاريس الكثيفة مع التاريخ القديم على ظل جناحيها يومضان على مواقع تاريخية لمدينة أور ومدينة أوروك ومدينة أكاد ومدينة نيبور ومدينة بابل العظيمة.

من الواضح بأن ليس هناك مفاجئة للعلم بأن كل شيء تحتاجه الحياة الحضرية المنظمة من الكتابة الى وجود الخدمة المدنية الكبيرة تم إيجاده في تلك المدن ذات السهول الخصبة. وليست هنالك دهشةٌ بوجود إعتقادات البشر الأولية تتجسد هنا وكيف كان ذلك، فعلى سبيل المثال الرجل الحكيم في مدينة شورباك الذي ساعده الإله إنكي ونجى من الفيضان ببناء سفينة حمل فيها بذور الحياة. وكيف ولدت الكاهنة الملك سرجون (ملك أكاد) بطريقة غير شرعية ووضعتة في سلةٍ مصنوعةٍ من القصب ثم جعلته يطفو على نهر الفرات ليجده ذلك الملاح الذي رباه.تخبر واحدة من أول الأساطير الإلهية الإسطورية لموت وبعث البشر وكيف تم حبس إنانا (عشتار) في

العالم السفلي من قبل أختها لأنها كانت آلهة الجنس والإنجاب مثل الإلهة أفروديت التى تجسدتها من بعدوأنهى غيابها عالم الغريزة الجنسية. ليس هنالك ثورٌ يرتمي فوق بقرة ولا حميراً تخصب بعضها ونواحات البابلي المتعلقة بالأسطورة فليس هنالك رجل يضاجع فتاةُ في الطريق. إنها خدعة من الإله إنكي لحماية بعثة إنانا ثم عادة المعاشرة الجنسية الى العالم وعادت معها الحياة.

تم تحقيق مستوى المهارات الهندسية والإنجازات الفنية في بلاد الرافدين(المدن بين نهري الفرات ودجلة) بطريقةٍ مذهلة، من قنوات المياه إلى الزقورات ومن رصيف بلاطٍ جميل الى أسوار مرتفعة تحيط بأميال من الحدائق والمساحات العامة ولا يكادُ يوجد أي شيء يفتقر الى عصر ماقبل الكهرباء. هنالك أعمال رائعة في الأدب أيضاً أكثرها شهرة ملحمة جلجامش وعلى الرغم من أن الجزء الأعظم من الكتابة التي لم تندثر تتعامل مع مواد أقل بريقاً بشكل رئيسي في المسائل القانونية والمحاسبية. وهذا يعطي دليلاً على الأنظمة الإقتصادية والحكومية المتطورة و لكنه لا يفيد دائماً من إلقاء الضوء على الطابع الداخلي للإنسان وخاصة الحقائق الإجتماعية لحياة المدينة القديمة.

لمثال واحد مثير للإهتمام: كانت مساكن و أديرة مدينة سيبار عبارة عن مجموعة من النساء يعشن حياة معزولة داخل المدينة. أوجدت المساكن مجموعة من السجلات تتعلق بالشؤون المالية والقانونية للنساء المعزولات اللواتي بالرغم من إمتلاكهن لمبادئ شبه دينه، كانت لديهن المقدرة لإدارة أعمالهن حسب حقهم الشخصي وقد فعلن ذلك بحيوية. ومع ذلك غابت طبيعة دورهن وتماثيلهن عن الأنظار في بلاد الرافدين فكل واحدة منهن لديها لمحات ساحرة من الإمكانيات الغامضة.

يفكر أغلب الناس في مصر حينما يخطر على بالهم التاريخ القديم لأن بقاياها مازالت ظاهرة للعيان، كما كانت قوى أروبا في القرن التاسع عشر

حريصة لطب كنوز مصر لمتاحفها. لكن العصور القديمة لبلاد الرافدين لها حِصَةٌ أكبر وأهمية أعظم. قد تكون إحدى عواقب الماضي القريب المضرب في تلك المنطقة إستعادة إحساس مناسب بأهميته التاريخة.

المدن و المباني

بدأت المدن كأسوق محصنة ضد الهجوم. وفي هذا التكوين المذدوج يكمن جوهر المدن. بجلب الباحثون عن السلع وموردوها معاً الذين يفتحون المجال لأي نوع من المعاملة المالية يمكن تخيله وبذلك صنعوا الثروة والقوه المصاحبة لها. وهيمنوا على مناطقهم بالتركيز على تلك القوة، عندما كانت تتكون من الممرات والمعابر والأراضي الصالحة للزراعة التي يمكن رؤيتها من أبراج مراقبتهم، و لكن الآن وخاصة في مسألة أعظم خمسة مدن في العالم (نيويورك، طوكيو، لندن، باريس، لوس انجلوس) متضمنةًالمناظر الطبيعية والاقتصادية والسياسية المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

وتعتبر المدن أيضاً منبع الثقافة. تبهر الحياة الريفية الناس لفترات طويلة، ليست طويلة من الزمن وإنما من التكرار، بينما تدفع حياة المدينة الناس إلى المستقبل بشكلٍ قلق، وتطالبهم بسرعة التفكير وردود الفعل السريعة. يشكل وجود الحياة المدنية بُعداً مختلفاً من الخبرة البشرية،و كل نوع من المواد يدين له التقدم الفكري تقريباً كما في كل نوع من أنواع الإنحدار الروحي. كان الناس يأخذون طابع المدينة بعين الإعتبار حتى نهاية القرن الثامن عشر. كانت المدن معاقة في المساحة بالمشاة وقدرة التحمل وترتيبات الصرف الصحي والإمدادات الغذائية من المناطق المجاورة والإعتماد على التجارة في الرياح والصعوبات.

تعتبر المدينة التي إعتبرها أرسطو مكان الحياة الأخلاقيةوالمدينة التي أراد علماء عصر النهضة أن يجملوها كأنها تعبير عن عظمتهم الشخصية متساويان في أهميتهما. ولكن حدث تغيير مثير مع الثورات الزراعية

والصناعية. لإبراز التناقض لا يحتاج المرء إلا ان يذكر سان جيمنيانو في قصيدة ضخامة الظلام التي وصفها فيها هنري جيمس في مقالته التي أسماها لندن كتبها في عام 1888م. الأولى هي المدينة التي عرفها التاريخ والأخيرة هي نفس المدينة حيث طورتها ثورات العولمة وتزايد السكان الذي بدأ قبل قرنان من الزمان.

يرى بعض المعلقين بأن هنالك تحولات عظيمة أخرى حدثت في طبيعة المدينة في العقود الأخيرة. إحتفظت مدن القرن التاسع عشر بجوهر التعرف من حولها حيث توسعت ضواحيها ومناطقها الصناعية. شكلت المباني المدنية الضخمة جوهر الساحات العامة بالتركيز عليها. و لكن تغير ذلك. لم يعد هنالك مركزاً للمدينة، فهو عبارة عن منطقة تجمع للمياه قطرها مائة ميل وبوابات المدينة بها مطارات ومراكز تسوق. والمثال على ذلك مدينة لوس أنجلوس التي تمتد بشكل كبير تحت ضباب التلوث الناجم عن ظاهرة السيارت.

وضعت التطورات تركيز الإقتصاد والأهمية الثقافية في المطارات وجميع المرافق الترفيهية، كالمتاحف والمسارح والمواقع السياحية والمطاعم والفنادق وكذلك المرافق المالية للمدن الكبيرة. أشار المهندس المعماري ديان سودجيتش ببراعة الى غرور الشركات في طابع وشكل ناطحات السحاب في المدينةومع ذلك هو معجبٌ وفاهمٌ للمدن الكبرى،فواصل بالتحذير من هيمنتها التي لا منازع لها. توجد فقط ثلاثة مراكز مالية حقيقية في العالم. معظم حركة النقل الجوي الأروبي تمر عبر لندن و باريس و فرانكفورتوحتى هنافإن مجاميع الركاب في مطار هيثرو فقط يفوق عدد الركاب في باريس و فرانكفورت معاً. و يتم تصنيع معظم وسائل الترفيه في كاليفورنيا. تتراكم القوة بشكل هندسي، و كلما إمتلكت تلك المراكز قوة يصبح من الصعب على الآخرين منافستها. وهذا أمر مفهوم.

يجب أن يضيف غرور الشركات غرور المهندس المعماري في توضيح التنمية غير المتوازنة جمالياً للمشهد الحضري المعاصر. وفي مقالةٍ بأحد الصحف كتب كاتب عن المهندس المعماري نورمان فوستر ذات مرة: هل إكتشف أحدٌ تذبذب كبري الألفية والكارثة الحجرية لكنيسة المتحف البريطاني العظيمةانتقام لكبرياء نورمان فوستر ففي النهاية هو مسؤول عن كلاهما. وإن كان الأمر كذلك فقد فات الأوان للندن التي سلمت نفسها لمستقبل أفسده نورمان فوستر بتصميماه الخاطئان.تم تسخير مبنى جريكن أو ما يسمى مبنى توماسنس لجيش الجمهورية الإيرلندية المتضرر من بورصة البلطيق بالمدينة وشكل عمدة لندن مقراً على جسر البرج.

تتطلب بعض المعلومات في شرح تلك الملاحظات المثيرة. إذا أردت من شخص تغطية مساحة واسعة عند بناء مطار كبير مثل مطار تشب لاك كوك بمدينة هونغ كونغ على سبيل المثال عليك بنورمان فوستر. فهو لديه طريقة مع الفولاذ والزجاج يمكن أن تكون فعالة ببراعة. وتكون تلك المواد جميلة عند إستخدامها في المكان الصحيح، لذلك يمكن لإستخدامها المبدع أن يشكل مساحات وبنية ترفع الروح المعنوية. رفع فوستر الروح المعنوية بهونغ كونغ ليس بمطار تشب لاك كوك فحسب و إنما ببنائه الرائع لبنك هونغ كونغ و شانغهاي. لذلك ليس جوهر خاصية فلوستر المعدنية الزجاجية هو الذي يزعج وإنما عدم القدرة الظاهرة لمعرفة المكان المناسب لذلك. أو هل الأسوء أنه لا يأبه؟

ثانياً لا تعتبر الشكوى بما يخص مبنى توماسنس ومبنى تستكل اللذان صُمِما على يد فوستر بلندن شكوى عن الهندسة المعمارية المعاصرة بشكل عام، ما زال هنالك دافع تقليدي من النوع الذي يفضله الأمير تشارلز.بدلاً من التحسر على أنانية المهندسين المعماريين الذين لا يعلمون متى يتوقفون عن توترهم النمطي والمتوقع حالياً بعد القصة التي يفترض أن تكون مفاجئة أو صادمة.لا يكترث الأشخاص الذين يطلبون منهدسين معمارين مثل هذا النوع

والبيرقراطيون الذين يمنحون إذناً لتخطيط مبانيهم للسمعة. لقب فوستر بالفارس أولاً ثم لقب باللورد(لورد لقب شرف في انجلترا)وبالخارج أُنشد نشيد له من مبنى الرايخستاج(مبنى البرلمان الألماني في الرايخ) وهو الفائز بجائزة جمهورية الصين وعروض يصعب قبولها من لندن، فكان موقعي مبني توماسنس ومبنى تستكل غير مناسبين لهما فلم يتقبلهما أي شخصليس لميزت وجهتهما إلى المواقع التاريخية داخل لندن و لكن لأنهما من تصاميم فوستر.

البنك والمطار اللذان صممهما فوستر ليسا بغريبين في مدينة هونغ كونغ، المدينة التي ترغب بعمل المعماريينالذين يعملون مثل المهندسين الذين يرغبون لصناعة شيء جديداً لكل تكليف، فهم كالشعراء الذين لديهم الحرية بكتابة كل مايرغبون بهبالتخلي عن القافية والوزن، لديهم طريقتهم للتخلي عن نظام أدوات البناء التقليدية، وحرية المسؤولية عن البيئة المعمارية المحيطة والإعفاء عن الخطأ. فوستر هو مهندس معماري، غرائزه وميوله غرائز رسام هندسي. فمفردات تصميمة ناتجة عن مصدران متعلقان بذلك: الأول هو قنوات التدفئة والتهوية، وأنابيب المستخلصات التي تزود النسيج البصري وتطهير فراغات الفولاذ داخل المصنع، والثاني هو قبة جيوديسية التي صممها المعماري بكمنستر فلر مع الهيكل الذي يدعمها.

فكل عمل فوستر مستمد من تلك المصادر ويمكنها أن تكون مدهشة لكنها تكون متوهجة فكرياً عندما تكون متوقفة في مواقع غير مناسبة. فتصير بلا طعم وبلا فائدة. وهم بذلك يعلنون عن خطأ راسخ من المهندسين المعمارين الذين يكسبون فرصة للحصول على طريقة إرضاء الذات. إنهم يسجلون موقفاً ويأكدون الأصالة ويحاولون أن يتركوا إنطباعاً جيداً أو يدهشون بذلك بعملهم ناسين بأن البناء ليس كل شيء بل يحتاج إلى سياق يتم النظر إليه ويستخدمه آلآف الأشخاص سنوياً. فمن الغرور أن تُنشأ مبنى يهدف بشكل أساسي إلى أن يكون مستحدثاً. ولاكنه لايكون كذلك بعد إنزال السقالات فيكون شكله بشعاً أو غير مقبول. يأخذ بالكاد أي إنعكاس لرؤيةمبنى

توماسنس أومبني تستكل اللذان صممهما فوستر مناسبين لموقعيهما بلندن. يمكن أن يكون مبنى توماسنس مقبولاً في مدينة سياتل و يكون مبنى تستكل مقبولاً في سنغافورة. و لكن هذا الإعتبار لأن لدى سياتل وسنغافورة آفاق مختلفة، وغالبية تلك المباني مختلفة في المواد الحديثة النمطية وتوفير البيئة الطبيعية للزجاج الغليظ والشبكات الفولاذية.

ولكن مواقع مبنى توماسنس ومبنى تستكل بلندن ليست كذلك. يقابل ميلان الشكل البيضاوي لمبنى تستكل برج لندن ويجاور جسر البرج. تخيل للحظة مبنى بذلك الموقع حتى وإن كانت مواده وتصميمه في منتهى الإبداع، فإنه يستقطب الأماكن المشهورة والقديمة المحيطة به ليتناسق معها مما يؤثر عليها بطريقة غير ملحوظة ولاكنها متناغمة، وهكذا التفكير معهم عبر الهواء والماء الذي ينضم إليهم. فمبنى تستكل لا يفعل أي شيء من هذا القبيل، فهو مختلف تماماً بشكل هادف عن بنيات جيرانه التقليدية ولذلك ينافس معهم، فيتنافس معهم بطريقة ضعيفة وهذا ما ينبغي قوله، لأنه في النهاية عبارة عن تجميع من الزجاج والفولاذ تم ترتيبه وكأنه مستمد من نص كتلة البلاستيسين المسحوق. وكذلك يعتبر مبنى توماسنس مبنى ضخم يعلو على المدينة ولهذا السبب فقط هو سيء بما فيه الكفاية، و لكن على نطاق شكله فهو أيضاً فهو مزعج وبلا جدوى ويفشي سره عن معماري يستعرض مهاراته ويعمل بشكل غير لائق ليجعل عمله أصيل ومختلف وينجح فقط في أن يكون مخرباً.

ففي هذه الأيام، عندما يرى المرء مباني تبدو مثل أكوام من الصناديق أو الخضروات أو الأجهزة التناسلية، تم تصميمها بطريقة مختلفة عن المباني التي تحيط بها فهي توحي للمرء بأنها مملة جداً وأنانية. حيث صار الإختلاف مجرد حداثة خصوصاً عندما تم السعي إليه بجهد. نحن نريد مباني جيدة وجميلة ومباني ترحب بالناس وتأويهم بلطافة من حيث المساحة والضوء وتلبي إحتياجاتهم وتحترم مستواهم وتسر العين حينما يراها الناس في التمدد المحلي لمشهد المدينة فإنها ترتبط بذكاء مع حالتهم وتحترم شكل

الطريق وآفاقه. وتعترف بعبقرية المكان. وفي هذه النواحي الحاسمة صار المبنيان البارزان للمعماري فوستر فاشلان.

وهذه الإنعكاسات تذكرني بملاحظة توماس جفرسون في قوله: من الواضح أن عبقرية المهندس المعماري تسلط لعنتها على هذه الأرض. حينما تستخدم تلك العبقرية تجعل من المعماريون أكثر ظهوراً من عملهم، مع إستثناءات خيالية نادرة. ينبغي أن يتميز المبنى بوضوح في الأماكن العامة في كل الظروف الجويةويكون متقبلاً لرأي المارة. يمكن للمعماري وحده أن يشارك الأمتيازية إذا كان في فلقة العقاب، المكان الذي ينتمي إليه معظم المعماريين.

تجعل القوة العالية للمواد والزجاج والكمبيوتر مع بعضها البعض من الهندسة المعمارية الحديثة ممكنة وبذلك يصير المعماريون مثل مصمموا الأزياء. يجعل إنعكاس أوجه الشبه بين التأثيرات التكنلوجية في المبنيين والفناءات من الشخص الساخر أن يعتقد بأن عمل فوستر عبارة عن تصور للكثير من الهندسة المعمارية المعاصرة التى تنشأ مباني تهدف إلى جذب الدهشة في المقام الأول بدلاً من أن تنسجم مع المباني التى تحيط بها، ولا تعزز حياة المدينة الأساسية بل تعيقهابمواصفاتها المتغطرسة، ولا تحترم النطاقات البشرية بل تنشأ مباني غريبة عنهم وتجعل مساحات معادية للمشاة، تعرض على العين العناصر المعدنية والزجاجية بدلاً عن التفصيل والشرح. وتضحي بصلاحية السكن والإحترام التاريخي لأجل الغرور. وربما للساخرُ رأي آخر.

تعتبر الكثير من تصاميم فوستر جميلة بطريقة الأنماط التي يستطيع الكمبيوتر فعلها في أغلب الأحيان و لكن مع نفس الطابع الممل و الآلي و الزائف. من الذي يفضل وضع الأنماط التي صنعها الكمبيوتر على حائطه بدلاً عن الرسم المختص؟ هنالك الكثير من المباني الجديدة حتى الآن تم بناؤها بلا مبالاة واضحة للبيئة الإجتماعية الجيلوجية لما يحيط بها، هل الكمبيوتر هو الذي يقود الهندسة المعمارية؟. أي برنامج لائق يمكنه أن يشوه

المكـــان ويغيرهكمبنـــى بلديـــة لنـــدن، فمـــن غيـــر اللائـــق للمعقوليـــة البشـــرية أن تضـــع شـــيئاً مـــن هـــذا القبيـــل بقـــرب بـــرج لنـــدن وجســـر البـــرج، وتعتبـــر المســـتودعات التـــي أعيد تأهيلها و قصور شواطئ توماس ذكرى لعصر النهضة.

هـــذا التكـــرار لـــيس نـــداءاً لأميـــر ويلـــز بـــأن يضـــبط الهندســـة المعماريـــة. كمـــا تظهـــر مدينـــة بـــراغ الرائعـــة بشـــكلها التكعيبـــي المـــدهش والفـــن الجديـــد وفـــن زخرفـــة المبـــاني جنـــب إلـــى جنـــب مـــع الأســـلوب القـــوطي والبـــاروكي والكلاســـيكي الجديـــد والأســـاليب المحليـــة، يمكـــن أن تُكـــون المدينـــة إنســـجامات مـــن الســـمفونية ومـــزيج مـــن الألحـــان للجمـــال الحقيقـــي والإيقـــاع البشـــري والتشـــويق المســـتمر مـــن غيـــر التركيـــز علـــى الأبـــراج فائقـــة التكنلوجيـــا . لا توجـــد مدينـــة فـــي العـــالم المتقـــدم تعلمـــت مـــن هـــذا الـــدرس حتـــى الآن، لـــذلك كـــل المـــدن متلهفـــة إلـــى أن تكـــون حديثـــة، إنظـــر إلـــى بكـــين، الآن مجموعـــة مـــن ناطحـــات الســـحاب التـــى لـــديها أقـــل مـــن خمســـين عـــام محـــت فنـــاء منـــازل المدينـــة و وحوائطهـــا المورقـــة لتلـــك العاصـــمة الســـاطعة، تتحـــول بكين إلى أسلوب أمريكي في كل أرجائها.

يتكـــرر أحيانـــاً تصـــميم أســـلوب فوســـتر بطريقـــة رائعـــة ويكـــون جيـــداً فـــي الجـــذر الفارغـــة أو مجمعـــات العلـــوم الجديـــدة. حتـــى مبنـــى بورصـــة البلطيـــق الـــذي صـــممه فوســـتر قـــد لا يبـــدو غريبـــاً إذا كـــان فـــي ســـنغافورة أو فـــي مدينـــة دالاس و فـــي المـــدن التـــي يمكنهـــا اســـتيعاب أحـــدث التصـــميمات مـــن غيـــر أن يـــؤثر ذلـــك عليهـــا. ينبغـــي أن تمتلـــك المـــدن الأقـــدم بعـــض الحمايـــة و لكـــن للأســـف لا يـــدافع التـــاريخ ضـــد الغـــرور المعمـــاري. وفـــي الهندســـة المعماريـــة قـــال نيتشيه(فيلســـوف ألمـــاني): فخـــر الإنســـان و نجاحـــه فـــوق الجاذبيـــة الأرضـــية ورغبتـــه فـــي الســـلطة تفـــرض شـــكلاً واضـــحاً، وأصـــبحت هـــذه الملاحظـــة الآن صـــحيحة وأكثـــر إستســـاغة مـــن أي وقت مضى.

المدينة في الثقافة الحديثة

يعتبر التاريخ غريباً في تفاصيله، و لكن التاريخ الثقافي (الملاحظة ومناقشة الإتجاهات والأنماط، والحركات والمناظرات في الفن والأدب والفكر) يعتمد على ملاحظة التفاصيل وأخذ الآراء. وفي أيدٍ عادية،تخاطر هذه المغامرة بشكل خطير للتضحية بنفسهامن أجل التفاهات والخواء الفكري على التعميم. وفي يد المحترف غالباً مايكون التاريخ الثقافي مثيراً ومفيداً دائماً. يعتبر كارك سكوركي خبيراً في التاريخ الثقافي فكل شخص تَعَرَف على عمله الكلاسيكي في القرن التاسع عشر بمدينة فيينا يعلم ذلك. فهو يصور لقاء بين مثقفوا القرن التاسع عشر والحداثة. ويتحدث عن الأماكن والناس في حياة أروبا الثقافية في الفترة المشؤومة بين عام 1848م(سنة الثورات) وظهور النازية. وإضافة إلى ذلك يمنحنا سكوركي رسماً لسيرته الذاتية العطرة(صورة ذاتية محترفة) كواحدة من المقالات التمهيدية لتوضح إخلاصه للرأي، ليس أقل صراحة أو قيمة لكونه مألوفاً وإنما بالإطلاع على التاريخ يستطيع المرء أن يفهم الحاضر وأن يفهم نفسه.

الموضوع الأساسي في مقالات سكوركي هو المدينة بشكل عام و بالطبع مدينة فيينا على وجه الخصوص. حيث عرض فكرة المدينة كالفضيلة والرذيلة و ما وراء الخير والشر. في فكر التنوير في القرن الثامن عشر تم وصف المدينة على أنها مكان الإنجاز، المكان الذي يجتمع فيه الفن والمتعة والصناعة سوياً لكي يصنعوا الحضارة. أشاد فولتير بالمدينة وإختار مدينة لندن كمدينة أثينا الحديثة ليمثل فكرته. ولكن في القرن التاسع عشر صارت المدينة مكاناً معيوباً. حيث سببت الصناعات بخلق المناطق العشوائية والفقر و السكر والعنف والدعارة والأوبئة والإنتقال من صحة وإستقلال الحياة الريفية. ولذلك أصبحت المدينة معيوبة و لكن ليس عالمياً. يُحب البعض بودلير ونهايات القرن التاسع عشر المنحطة و إحتفلوا بإخفاء الهوية وإفساد المدينة، ووجدوا مصدر إلهامهم هنالك.

يطـــرح ســـكوركي مواضـــيعاً أكثـــر تركيـــزاً فـــي ظـــل خلفيـــة هـــذه الإتجاهـــات فـــي التفكيـــر حـــول الخبـــرة المدنيـــة. يـــرى المـــرء بـــأن بـــازل هـــي موطنـــاً فكريـــاً لكـــل مـــن بـــاخوفن و بوركهـــارت، فقـــد تـــأثرا بمعتقـــد مـــدينتهما بأنـــه يجـــب أن يكـــون أســـاتِذة الجامعـــة مـــربيين لكـــل المدينـــة. تنـــاقش بعـــض المقـــالات مدينـــة فيينـــا بإعتبارهـــا مكانـــاً للتجربـــة الفريـــدة للبنـــاء الإمبراطـــوري "تحســـين الطريـــق الـــدائري والـــذي كـــان فـــي الحقيقـــة وضـــع عاصـــمة جديـــدة فـــي المـــدرج الـــدفاعي لمدينـــة إمبراطوريـــة قديمـــة (وكأنهـــا كـــانبيرا أو برازيليـــا) لفهـــم النضـــال. يقـــول ســـكوركي: إن فهـــم المشـــاعر الليبراليـــة والإمبرياليـــة فـــي أواخـــر القـــرن التاســـع عشـــر بمدينـــة فيينـــا يتطلـــب منـــا النظـــر إلـــى التـــوترات السياســـية والتـــوترات بـــين الأجيـــال والتـــوترات الطبقيـــة". يعتبـــر دور الإمبريالـــة فـــي إنشـــاء المبـــاني الدائريـــة "المتحـــف والمســـرح والبرلمـــان ومبنـــى البلديـــة: كـــل آثـــار السياســـات المتقدمـــة" مخالفـــاً للمحوريـــة الطوبولوجيـــة والثقافيـــة للقصـــر الإمبراطـــوري، دور الصـــغار فـــي الأحـــداث المتعاقبـــة يعكـــس قـــيم آبـــائهم فـــي السياســـة أولاً ثـــم فـــي الفـــن، ودور غوســـتاف مـــالِر فـــي تحـــدي الحساســـية الطبقيـــة بتقـــديم المـــدى الأوســـع مـــن الشـــعور بموســـيقاه يتجـــاوز نخبـــة جمهـــور فيينـــا الـــذين كـــانوا يســـتعدون للتأييـــد فـــي ذلـــك الحـــين. وفـــي كـــل الأحـــوال تخفـــي تلـــك التـــوترات تطـــور الثقافـــة الأروبيـــة فـــي تلـــك الفتـــرة، كمـــا يقـــرأ المـــرء يعلـــم أيضـــاً مـــا تخفيـــه أزمـــات الحـــرب العالميـــة والإنهيـــار الإجتمـــاعي. و لتوســـيع الفكـــرة مـــن البيئـــة الحضـــرية يستكشـــف ســـكوركي إنتعـــاش العصـــور الوســـطى الإنجليزيـــة فـــي عقـــب كـــل مـــن كولـــديج و بـــوجين و دزرائيلـــي علـــى وجـــه الخصـــوص لجلـــب مـــثلاً أعلـــى للتكامـــل و الإلفـــة "الإجتماعيـــة و الفنيـــة معـــاً" إلـــى واقـــع إجتمـــاعي حـــديث. وفـــي مغـــامرة مثيـــرة فـــي التحليـــل المقـــارن، يجـــد ســـكوركي فكـــرة مثاليـــة مـــن ويليـــام مـــوريس و فـــانغر، كمـــا يجـــد تشـــابهاً أيضـــاً فـــي خيبـــة آمالهمـــا لفشـــلهما بجلـــب شـــيئاً مـــن الماضـــي "الأســـطورة الإســـكندنافية أو براعـــة العصـــور الوســـطى" لحـــل مـــا أدركـــاه مـــن المشـــكلات الحاليـــة و إســـتخدام نفـــس الأســـلوب فـــي إختيـــار المقيمـــين فـــي مكـــانٍ أو وقـــتٍ صـــعب "هـــذه المـــرة أيضـــاً مدينـــة، وهـــي مدينـــة فيينـــا أيضـــاً"لفرض معـــانٍ متضـــمة بإحكـــام، ويتحـــدث ســـكوركي عـــن حـــب فرويـــد لبريطانيـــا وإهتمامـــه

بالعصور المصرية القديمة من خلال صداقته مع الشاعرة هيلدا دوليتل، وهي تسجل له "كل ما يبهجه" عارضةً تمثال أثينا الصغير قائلةً: هذا المفضل لدي. إنها رائعة لكنها فقدت رمحها.

آخر مجلات وليام بوروز

في أواخر سنوات وليام بوروز مزدوج الميل الجنسي والمدمن للمخدرات من مجموعة جيل بيت والذي صدم العالم بروايته (الغداء العاري)، سكن مع قطيع من القطط بمنزل صغير بضواحي مدينة لوارنس بولاية كانساس، كان يجلس سوياً مع القطط على طاولة بغرفة جلوس تفوح رائحتها ببول القطط يشخبط في مذكراته بطريقة غامضة حينما كان ينتظر اللحظة التي يتناول فيها جرعة الميثادون اليومية المحددة. توفى في الثمانين من عمره ومازال مليئاً بالغيظ والحقد كما كما تُظهر صفحاتٌ في مذكراته الأخيرة ومازال في شقاء و حالة سكر واضحة ومحطم للمعتقدات الدينية والتقليدية.

عاش بوروز طويلاً، ففي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي كان هو و ألان غينسبيرغ وجاك كيرواك و بول بولز زعماء مجموعة جيل بيت حيث كانوا محررين لجيل ما بعد الحرب بطريقة ناجحة في أمريكا ومرعبين لتأسيسها. كانت حياتهم تجسدات للفوضة الأخلاقية التي التي يقومون بها في حياتهم الواقعية كما يقومون بها في المسرح الكبير للأدب و في كلاهما التخلي عن عنها أمر غير طبيعي.

أصبح بوروز غنياً بصناعته للآلآت الحاسبة. يعيش والده بذلك الدخل وفي موقف من مواقف حياته قتل فتى أسود(قتله في حادث في ظروف غامضة لمح بها بوروز في مذكراته). أطلق بوروز نفسه النار على زوجته دون قصد فأرداها قتيلة، كان ذلك في المكسيك حينما كانا يلعبانِ لعبة (وليام تل) و لكن

هـذا لـم يمنعـه مـن إسـتخدام الأسـلحة حتـى وقـت متـأخر تقريبـاً و صـار ضـعيفاً جـداً للقيـام بعمـل آخـر فـذهب بإسـتمرار إلـى مزرعـة خـارج مدينـة لـورانس لإطـلاق النـار علـى الأهـداف ونـام ومسدسـه تحـت وسـادته. مذكراتـه مليئـة بالملاحظـات المعاديـة والعنصـرية غيـر السـارة ومليئـة بالأوهـام العنيفـة أيضـاً. هـو يكتـب عـن كيـف كـان الغضـب الشـديد مناسـباً ليجعلـه يقـف و يرغـب بالقتـل وإطـلاق النـار وتحطـيم الوجـوه والقضـاء علـى سـمعة أعدائـه. غالبـاً مـا يتعلـق ذلـك بالأشـخاص الـذين كـانوا قسـاةً علـى القطـط وكـل جهـاز مكافحـة المخـدرات بالحكومـة الأمريكية.

تعتبـر أخـر مـذكرات بـوروز صـعبة و لكنهـا مذهلـة عنـد قرائتهـا. فهـي غامضـة ومتكـررة وعبـارة عـن خلـيطٌ مـن الجنـون وتافهـة وتعليميـة بشـكل مـذهل، فهـي ظهـرت فـي البدايـة بطريقـة غيـر منضـبطة لعقـل أدمـن المخـدرات، يكـون واعـي تـارةً وغيـر واعـي تـارةً أخـرة لمعرفـة الصـواب مـن الخطـأ.و لكـن فجـأة يبـدأ المـرء برؤيـة أسـلوب فيهـا كمـا لـو أن الشـظية المحطمـة مـن الفسيفسـاء المتنـاثرة علـى الأرض مـا زالـت تحـافظ علـى ذاكـرة ترتيبهـا الصـحيح. فمـن الواضـح أن المـذكرات تسـجل كفـاح بـوروز لتوضـح ماضـيه وعملـه وخسـائره. كمـا كـافح أيضـاً، كغضـبه ضـد إنعـدام الضـوء وغضـبه مـن المجتمـع الـذي قلـل مـن شـأنه فـي حربـه ضـد الأشـياء التـي تهمـه وهـي: (الهيـروين و الماريجوانـا و المِثليـة الجنسـية) كمـا واصـل تغلبـه علـى أشـاء مثـل: كورسـات التأمـل التـي يـتم جمعهـا فـي مقـالات قصـيرة وحـوارات صـغيرة وقصـص أعـاد حكايتهـا وقصـائد تذكرهاوشـخبطةُ غيـر متناسـقة.إذا كانـت آخـر مـذكرات بـوروز ذات قيمـة كـدليل علـى آخـر مـا أنتجتـه عقليـة مجموعـة جيـل بيـت، هـو بقاياهـا المنهكـة الناتجـة عـن الموقـف الطويـل مـن أبطالهـا ضـد العقيـدة الأخلاقيـة. هنالـك مقـال بمجلـة نيويـوك تـايمز تمـت كتابتـه فـي أربعينيـات القـرن الماضـي، يصـف فيـه الصـحفي كليلـون هـولمز صـديق جـاك كيـرواك و وليـام بورمجموعـة جيـل بيـت بأنهـا نـوع

من صفاء العقل وكسب الروح والشعور بقوة أساس الوعي. تعتبر هذه الملاحظات رسائل تذكيري للوضعية العنصرية.

صار بوروز قائداً لمجموعة جيل بيت. تعتبر مساعدة ألان غينسبرغ وجاك كيرواك له لتحقيق ذلك تعبير قوي لرغبتهما بذلك. و لكن رواية (الغداء العاري) هو البداية الحقيقية لجيل بيت. نشر بوروز تلك الرواية لأول مرة بباريس في عام 1959م. وبسبب تحدث الرواية عن أكل لحوم البشر والمِثلية الجنسية، ولغتها الغير مقيدة تم منعها في أمريكا حتى فشلت مقاضاة البذاءة لرواية مدار السرطان للكاتب هنري مليير في عام 1962م. صنعت سمعة بوروز السيئة و مجموعة جيل بيت والتجارب الفاحشة نجاح رواية (الغداء العاري). إلا أنها لم تحصل على أي نقد عندما تم نشرها لأول مرة في الصحف الأمريكية وصارت الكتاب الرئيسي لمجموعة جيل بيت.

على الرغم من أن آخر مجلات بوروز مليئة بالهوس والضجيج إلا أن لديها خليط من الحدة والرقة أيضاً. أحب بوروز قططه وبكي عليهم كثيراً حينما ماتوا. يقسم على الهيروين أو كما يدعوه (دواء الإله) دائماً أن يشعر بخياله وصوته.هنالك فترات وتلميحات غامضة من حيات بوروز في لندن(حيث عاش هنالك لسنوات عديدة) ومدينة طنجة و بحثه عن مخدرات نبتة الياغي في غابة الأمازون وموت زوجته وحياته المبكرة وخليطمن تفاصيل أخرى لا تكون مألوفة إلا لتلميذه مجتمعةًفي صفحة سيرته الذاتية. من المذهل أنه يسجل عدد المرات التى أخذ فيها جرعة زائدة وتوفى بذلك تقريباً. يبرز بين كلماته بأنه رجل عازم و قوي و واعٍ و غاضب و رجل عجوز زكي،مثلعين متلألئة تنظر إلى ألواح زجاجية دهنية محطمة من مبنى متهالك. يستطيع بوروز بالتأكيد كتابة خطوط عرضية وعبارات تبهر المرء و لكنه لا يرتقي بسبب إستخدامه للهيروين والدليل على ذلك مماته في ذلك الحطاميشير إلى أنه في نهاية المطاف يعتبر فرصة ضائعة، إذا كان قد تمكن من الفرار من

قبطة الهروين، ربما يكون له مكاناً مختلفاً ومكانةً سامية في المتحف الأدبي للغة الإنجليزية.

حكاية الشتاء

يتم تصنيف مسرحيات شكسبير بشكل منظمعلى أنها مأساة أو كوميديا أو تاريخ لملائمة الطلاب أو المحررين لأعماله المدونة. و لكن عمله المتأخر كرواية العاصفة ورواية حكاية الشتاء لا تصنف إلى أي واحد من التصنيفات الثلاثة. ليس من الواضح أن مصطلح الكوميديا التراجيدية يفي بالغرض بالرغم من أن هذا الإندماج يتناسب مع رواية حكاية الشتاء أكثر من رواية العاصفة.

هناك تعليق آخر بأن الروايتان متشابهتان وهو أن كلاهما يصعب تأديتهما على خشبة المسرح و لأسباب مختلفة. تتطلب رواية العاصفة مؤثراتٍ خاصة مثل: العواصف البحرية وإبداعات الجزيرة ومخلوقات تطير و وحوشٌ تزحف على الوحل. تحتاج حكاية الشتاء إلى عاصفة أيضاً و حيوان دب،وهذه أشياءٌ يصعب توفيرها. إنها مشكلة حقيقية تكمن بشكل أساسي في كيفية حدوث تلك الأشياء. إنقسمت الرواية إلى جزئين لمدة ستة عشر عاماً صارا رائعين جداًمع الجوهر النفسي للجزء الثاني بحيث أن جزأ منهما يظهر في المسرح، كما هو الحال عندما يتم الكشف عن هوية الأمير الحقيقية المفقودة يكون الملك مسترضٍ لإبنه ويشرح له قيامة الملكة التي يُعتقد بأنها ميتة لستة عشر عاماً. لا يمكن توقع الصرير والأنين في الجزء الثاني من المسرحية مالم تعالج بشكل جيد و مناسبلتفسد التأثير القوي للجزء الأول (للذوق الفكري: يكون منتصف المسرحية في نهاية الدور التمثيلي الثالث للمشهد الثاني). النصف الأول عبارة عن دراما صاخبة عن الخراب الذي يوضح الحياة والسعادة بنوع

مـــن الغيـــرة وهـــذا موضـــوع قـــديم لشكســـبير و لكـــن تمـــت إعـــادة النظـــر فـــي هـــذا العمل المحترم بنضارة و قناعة كبيرة.

يعتقـــد ليـــونتيس ملـــك جزيـــرة صـــقلية بـــأن زوجتـــه هيرميـــون خانتـــه مـــع أقـــدم وأعـــز صـــديق لـــه وهـــو بوليكســـينس ملـــك بوهيمـــا. نـــتج الإتهـــام مـــن ملاحظاتـــه الشخصـــية ولـــيس مـــن مـــؤامرة مـــدبرة. (فـــي الحقيقـــة كـــل خـــدم العائلـــة الملكيـــة فـــي حكايـــة الشـــتاء مســـتقيمون وصـــادقون بـــالرغم مـــن أنهـــم ضـــعفاء أمـــام أســـيادهم) ولأن ذلـــك يســـتند علـــى مـــا يؤخـــذ ليكـــون دلـــيلاً عـــى حـــواس ليـــونتيس فـــإن تصـــديقه لخيانـــة زوجتـــه لـــه ثابتـــة بالإقتـــاع بطريقـــة أخلاقيـــة علـــى الأقل.يحتـــاج ذلـــك إلـــى إلـــه(حتى الإلـــه أبولـــو يتحـــدث مـــن خـــلال كاهنتـــه فـــي مدينـــة دلفـــي) ليغفـــر للملكـــة ويحرر عيني ليونتيس.

وبعـــد فـــوات الأوان. تـــوفى إبـــن ليـــونتيس الصـــغير وهـــو حـــزينٌ علـــى مِحْنـــة أمـــه المتهمـــة وعلـــى إفراقـــه منهـــا.و البنـــت اليتيمـــة التـــي يعتقـــد ليـــونتيس بأنهـــا ذريـــةً غيـــر شـــرعية نتيجـــة لفعلـــة صـــاحبه الســـابقة، وجـــه تعليمـــات بتركهـــا فـــي مكـــان قـــاسٍ لتمـــوت. ثـــم تستســـلم زوجتـــه أيضـــاً للأســـى (وهكـــذا يفكـــر) و يـــتم دفنهـــا فيبكـــي عليهما وعلى حماقته.

إلـــى هـــذه النقطـــة نجـــد أن أعمـــال الغيـــرة البشـــعة فـــي الرجـــل القـــوي والغيـــر مقيـــد تميـــز النـــاس الأقـــرب إليهـــا بعنفهـــا و محبتهـــا، وهـــذا يصـــنع درامـــا جيـــدة. يعتبـــر ليـــونتيس شـــخصٌ ذو مشـــاعر عنيفـــة تجعـــل مـــن كـــل الدولـــة ترتعـــد حينمـــا يطلـــق عنانهـــا. كـــان عطيـــل جنـــرالاً وغِيرتـــه عبـــارة عـــن مأســـاةٍ عائليـــة. فـــي روايـــة حكايـــة الشـــتاء، يتملـــك الشـــيطان ذو العيـــون الخضـــراء الملـــك وتصـــبح الغيـــرة تهديـــداً للنظـــام. إنهـــا ثغـــرة فـــي عفـــة الملكـــة الشـــفافة، فمعانـــاة تلـــك الملكـــة تجعـــل مـــن تدمير الغيرة درساً جيداً.

تعتبـــر قصـــة ليـــونتيس وحـــدها مأســـاوية بإســـتثناء قصـــة الأســـطورة أوثوليكـــوس و قصـــة ســـرقة الفنـــان المحتـــال. و كانـــت فتـــرة غضـــبه آنـــذاك بســـبب الغيـــرة فقـــط.

ولكنه هنا يقدم تناقضاً واضحاً لرقة وحقيقة الشخصيات البارزة، على وجه الخصوص بولينا التي يأخذ زوجها أنتيغونوس الأميرة المرفوضة لتلقي مصيرها(بشكل مشهور) على ساحل بوهيما، والخادم الجيد كاميلو، الذي وجب عليه الفرار من صقلية لحماية بوليكسينس من القتل. هناك العديد من رجال الحاشية الملكية في روايتي شكسبير(غلوستر في لير و هوراشو في هاملت) و لكن تُعرض رحلة الشتاء صورة غنية جداًلرجال متحضرين يفعلون أفضل ما يستطيعون لمواجهة الكارثة السلوكية.

من المهم أن تلعب برديتا أميرة صقلية المفقودة و بوليكسينس بن فلوريزيل بشكل مقنع. إنها مواضيع إجبارية لعظمة حب الشباب وعلى إستعدادٍ للتخلي عن كل شيء لخدمته و ليكونا سعيدان بأنفسهما و بالعالم. حتى يكتشف الملك بوليكسينس بالخفاء عن معرفة لماذا كان ولده غائباًعن المحكمة، في غضبٍ يستنكره للتفكير بالزواج حتى الآن. يحتاج هذا المشهد إلى ممثلان جيدان قادران (في حالة برديتا)على أداء الزخرفة الغريبة وحرية أن تكون من عائلة ملكية بنسيج صوفي. وقادران(في حالة فلوريزل) على أداء دور أمير يافع جداً و لكنه فخور و واعد. ويساعد إذا كان هنالك راعي ساحر و مقنع، وهو الذي لديه أجمل أسطر في الأدب و الفلسفة يقول لإبنه: عندما يجدون اليتيمة برديتا تحيط بها فدية ومجوهرات الملك، إنه يومٌ جميلٌ ياولدي وسوف نعمل فيه أعمالاً جيدة.

عبقرية شكسبير

يتسائل بعض من الذين رأوا عمل شكسبير قبل سنين، وحتى الذين قرأوا له قبل سنين مضت(على الأرجح في المدارس) ما إذا كان المكان العظيم الذي توصل إليه في نظر العالم صحيح. وبعد كل ذلك يقولون أنه كان مجرد ناقل ومحرر. جامعاً عمله من المسرحيات القديمة أو من سجلات هولينشد.و

إعترفوابوجود مسرحياته التى يصعب مشاهدتها، تعتبر مسرحياته مملة بالأحديث الطويلة فيما تبدوا لهم عملياً لغة أجنبية، وأربكتها الفكاهة الغير واضحة والتي أحرجتها أغنية (هى نوني نو). في مثل هذه الشعبية لابد أن يكون المدح والحب الذي يصفه عنه هارولد بلوم عندما يكتب عن شكسبير(شكسبير: إبتكار الإنسان و كتب ريفرهيد) مبهماً.

الآن، أنا محب لأعمال وليام شكسبير. معجبٌ بإنجاز شكسبير. ولقياس ذلك فكر في مدى إختلاف العالم إذا لم يكن أدبه مستخدماً مثل: هاملیت والملك لیر و لاقو و فالستاف و بروسبيرو و المرابي و ريتشارد الثالث و كليوباتر و ماكبث و روميو وجولييت. فكر كيف سيكون تحدث الإنجليزية فقيراً إذا إنعدم من غَنَاء وأسلوب عبارات شكسبير الجميلة التي لايمكن نسيانها. ومع ذلك أرى مبالغة بلومو التي أفرط فيهابإدعاءاته التي يُدلي بها عن شكسبير. يقول بلوم: إخترع شكسبير الإنسام، وهو يعني مايقول.

هنالك سؤالٌ الآن هنا بما يخص طبيعة عبقرية شكسبير. مع إستثناء بعض غريبي الأطوار وأهمهم تولستوي، لا يوجد أحدٌ يختلف على أنه كان ذكياً بالطبع. لكن الجدال هنا عن شخصية ذلك العبقريأوربما ما هو نفس الشيء: إنها مصادر. إقترح جوناثان بيت المتخصص في أدب شكسبير بأن توضع الأمور في الإتجاه المعاكس: ينبغي علينا أن نرى بأنه كان علينا أن نخترع مصطح عبقري بشكله الجديد ليناسب معجزة إختراع شكسبير وقواه الإدراكية. إذا كان ذلك صحيحاً فإن من غير المجدي لنسأل مالذي يجعل شكسبير عبقرياً لأن ذلك مماثلاً لإتخاذ شريط قياس إلى المقياس الأساسي في باريس.

و لكن يذهب بلوم إلى أبعد من ذلك. ولدى مدحه لشكسبير هدف واحد: ليخبر ويثبت الإدعاء بأن شكسبير لم يصور الطبيعة البشرية بكل تنوعها وتعقيدها فقط، و إنما إخترعها بإعطائنا أصناف وأنماط حب الذات المختلفة قبله وبدونه، لم يكن ممكناً بالنسبة لنا التفكير حول ذلك.

حجة بلوم هي أن تشكل أعمال شكسبير كتاب مقدس دنيوي، وتكون عبادة شكسبير هي الإيمان العالمي كما يقول بلوم تلك إحتياجات و وتوحيد ثقافة العالم ولا يمكنها أن تأتي من أي دِينٍ من الديانات المؤسسة، بينما تعتبر اللغة الإنجليزية الآن لغة العالم ويعتبر شكسبير الكاتب الأفضل والرئيسي في اللغة الأنجليزية وهو بالفعل المؤلف الوحيد في العالم الذي يذكر الناس إسمه ويقرؤون له في كل مكان. كما يدعي بلوم بأن تأثير شكسبير يفوق تأثير هوميروس و أفلاطون ويتحدى الكتاب المقدس في الغرب والشرق على حدٍ سواء في التكيف مع طابع وشخصية الإنسان.في الواقع. هل حقاً صار كتاباً مقدساً حتى الآن، كما يقول بلوم، بحيث أنه يمكن تسمية كل أعمال وليام شكسبير أيضاً كتاب الواقع.

هذا نوع من المبالغة. و مع ذلك لديه بعض النقاط الجيدة. بلوم كأي شخص آخر يتعرف على جوهر عبقرية شكسبير، وكأنه في لحظاتٍ قبل أن يُدلي برأيه للآرء المتفقة معه، تمكن من توضيح ذلك. ليرى كيف يغير رأينا برأي آخر.

إعتبر سيناريو توم ستوبارد لفلم (شكسبير في الحب) مرح جداً والذي يجعل العمل والإنتاج التفسيري لتمثيل معاناة و منع هذا الشاعر و الكاتب الصغير من جهوده لكتابةمسرحية روميو وأثيل إبنة القرصان. حيث حرره الحب وكانت روميو وجوليتهي النتيجة، ويتيح شعر المسرحية وسيلة الجماع المثيرة و الرومانسية بين الرؤساء. إنه لسان مرح وممتع(لدى شكسبير كوبٌ على طاولته يحمل صورة الأسطورة وهدية من ستراتفورد أون أفون) والخبرة التى تحصل عليها من مدينة سترتفور تدلي بأدائه للكتابة والعمل المسرحي.على سبيل المثال:تصحيحهلإشارات وعلامات الآخرين لإستخدامها لاحقاً وشخبطة إسمه بلا سبب وبطريقة متكررة بينما كان ينتظر الإلهام.

و لكن تضلل هذه الصورة بإحترام بالغ. لدى ستوبارد بحث شكسبير لقصة حقيقية، يجلس في مكتبٍ و معه قلم وحبر و ورقة. وبشكل مثير لديه إقتراح

مالو لقصة له في حانة. و لكن قصة روميو وجوليت هي تكيف مع قصيدة للشاعر آرثر بروك تم نشرها في عام 1562م بإسم التاريخ المأساوي لروميو و جوليت. وفي كل الأحوال تم تأسيس مكتب شكسبير بصعوبه مصادره و مراجعه. على سبيل المثال: لكتابة مسرحية حلم ليلة منتصف العمر إحتاج شكسبير إلى حكايات كانتربري للمؤلف تشوسر و ترجمة السير توماث نورث لحياة بلوتارخ و ترجمة عائلة بيرنرز لقصيدة هون من بوردو و كتاب إكتشاف السحر للمؤلف سكوت و قاموس كوبر للرومانية والمرادفات البريطانية و رواية الحمار الذهبي للكاتب أبوليوس و كتاب قليلٌ من الطرب الجميل للكاتب كليمنت روبنسون و آخرون و قصة مأساة بيراموس وثيسبي. توضح أهمية وجود أيٍ من هذه الأعمال رؤية نص المسرحية ومع ذلك قد تكون هنالك مصادر مرئية أو غير مرئية. كان إستخدام شكسبير لتلك المصادر يرتبط بها إرتباطاً وثيقاً. حيث تقدم سجلات هولينشد الكثير من الخطابات والمشاعر والإعتبارات والتصورات في مسرحيات التاريخ، كما يعتبر مشهد أنوباربوس و الوصف الشهير لكليوباترا في سفينتها نسخة من القصة الأصلية.

وتكمن وسيلة تحقيق ذلك عن طريق الفلسفة الرائعة والمواد المتنوعة التي جمعها شكسبير في أنبيق الخيال خرجت منه ذهباً خالصاً. تجاهل شكسبير الوحدات التقليدية التي كتبها أرسطو وخلفائه، بحيث يحكم في تشكيل أعماله الدرامية بدقة بحاجته لسرد قصة كاملة بحرص، ولا يتخطى ما هو مطلوب لجمهوره ليشعروا بما شعر به شخصيات القصة، أو ليفهموا تاريخ وحالة الحدث. و لكن هذا الجزء الميكانيكي البسيط هو جزءٌ قليل من ذلك العمل الرائع. لا تكمن عظمة فن شكسبير في الأسلوب وإنما في المضمون واللغة. مضمونه هو الحب والكره والطموح والكبرياء والثأر والخسارة والقتل والمعالم التاريخية للتمرد والحرب، وقوة الإنسان وغير الإنسان، والإحتمالات الروحانية والمأساوية للألفة. وعندما أقول بلغته فأنا أعني قوته الرائعة في التعبير

البليـــغ، وهـــي الأكثـــر تحركـــاً و الأكثـــر صـــحةً وعمقـــاً فـــي المضـــمون. إنـــه كاتـــب عظـــيم بخيالـــه وقـــادرٌ علـــى ملائمـــة نفســـه مـــع أي عمـــل مـــن أعمالـــه. تعتبـــر كـــل شخصـــية مـــن مســـرحياته بـــدورها الصـــغير شخصـــاً مهمـــاً وكـــل شـــخص يتحســـن بالحقيقـــة النفســـية مـــن خـــلال حـــدث الـــدراما ليكـــون شخصـــية معروفـــة جـــداً بخبراتهـــا(في الحـــب و المأســـاة و الطمـــوح و الكارثـــة) هـــذا يـــؤثر عليـــه كمـــا تعـــزم شخصـــيته بالضـــبط. لقـــد قيـــل إذا حـــذفت الأســـماء الرئيســـية مـــن نَـــص مســـرحية شكسبير يمكنك أن تعلم من هو الذي يتحدث.

إذا كانـــت هنالـــك حاجـــةٌ لإثبـــات عبقريـــة شكســـبير لا يحتـــاج إلا أن يشـــير إلـــى تـــأثير أدواره المســـرحية ولغتـــه علـــى أحاسيســـنا. تعتبـــر أدواره المســـرحية واضـــحة جـــداً وكلماتـــه علـــى ألســـنتنا دومـــاً و ملاءمـــة للحـــديث. وهـــي كـــذلك لأنهـــا بعيـــدةً عـــن تصـــوراتنا ولـــذلك يشـــكلونهافي كثيـــر مـــن الجوانـــب. يحمـــل شكســـبير مـــرآةً للطبيعـــة البشـــرية بالضـــبط كمـــا هـــي لنـــرى الجلـــد الـــدهني المثقـــوب وبُصَـــيلات الشـــعر الســـوداء وتلـــون قزحيـــة العـــين وكلهـــا مألوفـــة حتـــى الآن وتـــم تقـــديمها علـــى نطـــاقٍ جديـــدٍ و واســـع بحيـــث نراهـــا ونتفاجـــأ بهـــا. يتحـــدث شكســـبير بمـــا ترغببـــه أنفســـنا فـــي لحظات رقة وتألم ضميرها، لذلك سماع كلماته تجعلنا نشعر كأننا نتذكرها.

تحـــث تلـــك الملاحظـــة الأخيـــر المـــرء ليتـــذكر بـــأن هنالـــك شـــيء آخـــر عـــن شكســـبير مختلفـــاً عـــن مـــا تـــم ذكـــره فـــي البدايـــة. وهـــو أن شكســـبير شخصـــاً معروفـــاً جـــداً. فعنـــدما تقـــرأ واحـــدة مـــن مســـرحيات ســـتتذكره بالتأكيـــد،كمـــا أشـــار شـــخصٌ ذات مـــرة بالإذعـــان الممتعلتـــأثير شكســـبير لـــه فهـــو ملـــئٌ بالتعـــابير. أحـــد الآثـــار المترتبـــة علـــى هـــذا الـــرأي هـــو أن حماســـنا لشكســـبير أعتبـــره شخصـــاً قـــديماً ممـــا أدى إلـــى صـــعوبة إدراكـــه بشـــكل صـــحيحمثل لوحـــة فنـــان قـــديم تـــم محوهـــا بموجـــب الطـــلاء والفتـــرة التاريخيـــة. ولكـــن هنالـــك نقطـــة أخـــرى وهـــي أن إبـــداع شكســـبير المســـتمر هـــو مـــا يحفظـــه إســـمه مـــن النســـيان.يعتبر كـــل مـــن التمثيـــل المســـرحي التجريبـــي وإصـــدار الأفـــلام و التكيـــف وتفســـير الروايـــات عمليـــات فعالـــة لمبـــدأ شكســـبير، فهـــي فعالـــة مثـــل الأدوار الكلاســـيكية التـــي يعـــرض فيهـــا الممثلـــون الرئيســـيون

أدواره العظيمة أمامنا وفقاً لتوضيحاتهم لذلك. الإختلاف وحده يحدث فرقاً ضد إطار الإسمرارية. لنيكن هنالك جدوى من مناقشة جدارةجريك و كين و ريتشاردسون و جيلجد، ما لم تكن هناك ثوابت يتم مقارنتها بها.

شارك شكسبير نفس ذلك التدريب البلاغي كزملائه المسرحيون في عهد إليزابيث الأولى و عهد جيمس الأول.فهو مثلهم قرأ لأوفيد وسينيكا و قرأ ترجمة كتاب المآسي اليونانيةكما قرأ التواريخ الرومانية و الإنجليزية ، وعن تشوسر و سبنسر و عددٌ من الرومانسيات و الحكايات الإيطالية والفرنسية وقرأ لمونتين بترجمة فلوريو كما قرأ لمعاصريه بالطبع وعلى الخصوص مارلو و جون لِيلي.و لكن لايوجد أحدٌ من معاصري شكسبيرلا مارلو ولا بن جونسون ولا بومنت ولا فليشر ولا توماس هايوود قاربه في قوة الوصف أو في جمالُ شِعره الفريد الذي يُعبر عنه. تعتبر أدوارهم المسرحية كرتونية وأدواره حقيقية، ولغتهم مجهدة و كثيرة الكلمات أحياناً(عدا مارلو لغته بليغة بما فيه الكفاية) أما لغته شاعرية بشكلٍ سهل ولائق.

في تقييم أسس عبقرية شكسبير والتي يُعتبرها جوناثان بيتس تحت عنوان تقليدي من قبل مناظرة في طبيعة الفن منذ العصور الكلاسيكية. وفي هذا التقليد يعتقد الناس بشكل مختلف بأن عمل الفن عملٌ عظيم (وصانعه شخصٌ عظيمٌ) إذا توفرت فيه واحدة من هذه الصفات أو كلها: أن يكون صحيحاً للطبيعة و أن يحرك فينا أحاسيساً قوية ويجعلنا نفكر و أن يمتلك جمال شكلي وأن يقارن بما عرفه الناس كفن عظيم بالماضي. في كل هذه الإعتبارات ما عدا واحدة يلاحظ فيها بن جونسون إجتيازات شكسبير بنجاح ماهر. والإستثناء هنا للجمال الشكلي، لأن جمالياتُ شكسبير لا تطابق مفاهيم الشكل. مسرحياته لا تكترث كثيراً بوحدات المكان والزمان واللهجة، إنها تنحرف من التراجيديا إلى الكوميديا ثم ترجع مرة أخرى. لديها مؤامرت عديدة في الحالو تجلب تنوع كبير من الشخصيات على المسرح وبشكل عام

خذ أي شكل من أشكال الحلول التي يشعرون بأنهم يحتاجون إليها فهي في عصيانٍ للقواعد القديمة.

إعتقد الناس بأن شكسبير ساذج(شخصٌ عاديٌ وغير دارس) تماماً لأنه تجاهل تلك القيود الكلاسيكية. لذلك كانت عبقريته قليلة التقدير في القرن السابع عشر حتى كتب عنه درايدن أولاً، و كل شخص يدرك تمثيل بن جونسون لفن شكسبير كفن طبيعي أصيل، يبدي ملاحظة بأنه ليس خريج جامعي مثل مارلو أو مثل بن جونسون نفسه وهو لم يكن أقل جهلاً. يبقى شيٌ من تلك الأصالة في كاريل بعد 200 عام وهو كان مُصِر بتسمية شكسبير قرويٌ من وركشير و أعجب جداً بمدى نجاحه في لندنبالرغم من ذلك. و لكن كارليل لا يسلك الطريق الخطأ على نحوٍ غير معهود، وفي زمن كولريدج و هازلت أول ناقدان عظيمان لشكسبير لم تكن مسائل الوحدات هامة ولا ضرورية التعليم الجامعي ويمكن أن يكون فن شكسبير مقيم حسب مميزاته.

و لكن المرحلة الإنتقالية لم تكن سهلة جداً. لدي كل زمن إهتماماته وفي القرن الثامن عشر كان من غير المقبول أن لا ينتصر الخير في النهاية. لذلك فإن حكاية ناحوم تُعدل نهاية رواية الملك لير لتجلها نهايةً سعيدة بحيث تتزوج كورديليا من إدغار ويعيش معهم لير بسعادة أبدية. يحدث هذا التعديل عندما يكون لدى أحد مصادر شكسبير نهاية كهذه. ولكن شكسبير أعظم من مصادره.كان عمل شكسبير السار في القرن التاسع عشر لم يكن مقبولاً، وهنالك لم تكن الملكة ماب ليقرأ عنها البنات في عهد فكتوريا وتعليم الخادمات كيف يستلقين على ظهورهن ويصرن سيدات نقل جيد وهذا ما أشار إليه دكتور بودلر. و لكن شكسبير أعظم من المستوى الأخلاقي.إذا كان هنالك شيءٌ واحد يتفق عليه أغلب الناس لتحديد عبقرية شكسبير، هو قوته المتقلبة للإمعان في جميع وجهات النظر. كل المعلقين من د. جونسون إلى خورخي لويس بورخيس وضحوا تلك النقطة. وصف جونسون شكسبير كتنوع

الأشـــخاص، وقـــال عنـــه بـــورخيس كـــان الجميـــع ولا أحـــد. فـــي محاولـــة لشـــرح شـــمولية ونزاهـــة قدرتـــه لكـــي نـــرى ونشـــعر بـــالكثير مـــن الآراء(متناقضـــة فـــي أغلـــب الأحيـــان) المتنوعـــة. قـــال كارليـــل: إذا أرت أن أصـــف قـــدرة شكســـبير ينبغـــي علـــي أن أقـــول تفـــوق الفكـــر وأعتقـــد بـــأنني شـــملت كـــل شـــيء بـــذلك. وهنـــا يجـــب إضـــافة وجهـــة نظـــر الكثيـــر مـــن النقـــاد الآخـــرون بأنـــه كـــان ممـــثلاً. فهـــو مثـــل دور الشـــبح وهـــو ممثـــل الملـــك فـــي مســـرحية هاملـــت، وهـــو خـــدم عملـــه بشـــكل عـــام لـــيس فقـــط ككاتـــب مســـرحي وإنمـــا ممثـــل الأدوار البســـيطة، وبشـــكل رئيســـي مَثـــلَ شخصـــيات قديمـــة وكبيـــرة مـــن ضـــمنها والـــد الأميـــر هـــال. فمـــن الطبيعـــي أن نلاحـــظ بـــأن علـــى الممثلـــين أن يعلمـــوا كيـــف يمثلـــون أدواراً مختلفـــة بشـــكلٍ صـــحيح. ومـــن المعـــروف أن لـــدي شكســـبير قـــول جـــاك فـــي مســـرحية(كما تشـــاء) بـــأن العـــالم كلـــه مســـرح وكـــل الرجـــال والنســـاء مجـــرد ممثلـــون، كوســـيلة لنقـــل الـــنفس إلـــى أوجـــه نظـــرٍ مختلفـــة، فالبصـــيرة جيـــدة بقـــدر بســـاطتها. ضـــف تلـــك القـــدرة إلـــى عقـــلٍ ســـخيٍ وذكـــي وســـيكون لـــديك تلميحـــاً لقـــدرة شكســـبير التـــي جعلتـــه عالميـــاً. و تمرينـــه النمـــوذجي علـــى مقـــدرات كيـــت الســـلبية. يـــذكر هـــذه النقطـــة بشـــكل جيـــد باحـــث معجـــبٌ جـــداً ببلـــوم(والـــذي كـــان معلمـــاً بطريقـــة ممتعـــة وتعليميـــة مـــع الـــذين قـــرأت معهـــم عـــن شكســـبير لكـــوني طالـــب جـــامعي) أنتـــوني ديفيـــد نوتـــال. يقـــول نوتـــال لـــم يكـــن شكسبيرســـلبي ولـــم يلـــتمس أن يكـــون حـــلالاً للمشـــاكل ومســـهل للصـــعوبات. تلـــك ملاحظـــة ممتـــازة. تقبـــل شكســـبير الأشـــياء الغامضـــة و المشـــاركات المفتوحـــة ومشـــاركة الجميـــع فـــي الأشـــياء كمـــا تقبـــل مســـامحة النـــاس و عنادهم.عنـــدما يســـأل النـــاس عـــن دوافـــع يـــاجو فشـــلوا فـــي رؤيةأنـــه كـــان كفايـــة لشكســـبير أن يمتلـــك تلـــك الـــدوافع. عنـــدما يتســـائل النـــاس عـــن كيـــف أن مكبـــث الـــذي لـــم يكـــن متأكـــداً قبـــل مـــوت دنكـــن صـــار قاســـياً وحازمـــاً بعـــدذلك وكيـــف أن الســـيدة مكبث(زوجـــة مكبـــث) التـــي كانـــت قاســـية صـــارت ضـــعيفة وغبيـــة بعـــد ذلـــك، إنهـــم ينظـــرون إلـــى إيجـــاز المســـرحية ولـــذلك يكـــون هنالـــك جـــزءاً مفقـــوداً وهـــو الـــذي إحتـــوى علـــى توضـــيح أحـــداث المســـرحية. و لكـــن بمـــا يخـــص شكســـبير يكفـــي أن يســـتمروا فـــي القـــراءة لأن هذا هو ما تعنية الحياة.

رأى بلوم كل ذلك، و حتى أنه ذكر أكثر من هذا وذهب بعيداً منه وأحدث الفلسفة المتعالية والمثل الأعلى. أنا أفضل التفكير بأن شكسبير كان إنساناً، إمتلك عقلاً عظيماً و موهبةً عالية فهو يتدرج ضمن قائمة العباقرة المبدعين مع موزارت و ميكيلانجيلو و أرسطو و أينشتاين. و لكني أتفق مع بلوم حول النقطة التي هي الأفضل والأصح وهي أن شكسبير من الأوائل الذين يفتحون ذات الفرد الداخلية وبتلك ساهم بشكل كبير حول عمل النهضة لفصل الفرد من الأشياء السيئة الناتجة عن مشكلة عظمة البشرية التي يؤمن بها علم ما وراء الطبيعة. يعتبر شكسبير أحد مؤسسي العلم الحديث لأنه وضع الشخصيات أمامنا وجعلنا نستمع إلى أسرارهم و أحاسيسهم و مناجاتهم.

لو أن بلوم قام بمحاولاته بنفسهلكان قد صنعها من غير أن يجعلها تفشل، هنالك نقطتين قيمتين جداً وهما أن شكسبير عَرَفنا في وسط لغته المجيدة ومواضيعه الرفيعة بشيئان مرتبطان مع بعضهم البعض وكلاهما جديدان ومهمان لتصويرهم لنا في الأدب وهما: أولاً، فكرة الشخصية الحقيقية وفكرة الروح المنفردة و النفس الذاتية العاكسةالتي تتحدث وتستمع لنفسها ومدركة تماماً بمعاناتها ورغباتها. و تماشياً مع فكرة الحياة الداخلية ليس كشيء موجود و إنما كشيء يمكن إكتشافه ويسمع عليه ويتم إستخدامه في العمل الدرامي بالمسرح وكأنه محرك للعمل الشخصي في الحياة الحقيقية. وفي إزدهار بلاغي يائس يصر بلوم على إعتبار هذه النقاط إختراع الإنسان ومن ثم بدأ بتصديق بلاغة نفسه، وكأنه لم يكن يوجد شيء كالحياة الداخلية الفردية قبل أن أظهرها شكسبير في العمل. يكمن الفرق في رؤية شكسبير كالمهندس المعماري للحياة الداخليةو كأول و أقوى رسام للذاتية الشخصية والفردية كحقيقة أخلاقية في العالم و مبتكر حقيقي. من الصعب كما يبدو أن يصر بلوم على رأيه الأخير فهو يقول من غير الطريقة واللغة (اللذان يقدمهما شكسبير) التي تعبر عن ذلك لما كان للبلاغة وجود.

لـيس مـن العجـب أن نجـد مسـرحيات شكسـبير جيـدة للمسـرح كمـا إعتبرهـا تشـارلز لام و آخـرون مـن قبلـه. ينبغـي علـيهم ذلـك وكمـا يقـول كـن فـاعلاً للجمهـور ولا تكـن مفعـولاً بـه. يجـد بلـوم بـأن تلـك الأعمـال عانـت علـى أيـدي الممثلـين والمخـرجين، الـذين جعلـوا مـن ريتشـرد الثالـث وكأنـه أوزوالـد مـوزلي يرتـدي قميصـاً أسـود وحولـوا مسـرحية حلـم ليلـة منتصـف الصـيف إلـى تمـرين فـي الهـوس الشـبقي و حكايـة عاصـفة الشـتاء إلـى نـص الكفـاح ضـد الإسـتعمار بطلـه الحقيقـي هـو كاليبـان. لا توجـد فرصـة لإقناعـه بطريقـة أخـرى. حتـى المراحـل الرائعـة تثبـت لـه بأنـه ينبغـي علينـا أن نتوقـف عـن تمثيـل مسـرحيات شكسـبير. وهـو يقـول بـأن أفضـل مـرة رأى فيهـا مسـرحية ريتشـرد الثالـث هـي عنـدما مثلهـا إيـان مـاكلين بالمسـرح القـومي حيـث كانـت قويـة جـداً فـي الجـزء الـذي يصـور الشـرير الهزلـي كمـا تمـت رؤيتـه مازجـاً بـين شخصـيتي يـاجو و مكبـث. عليـك أن تتسـائل عـن حكـم بلـوم بأنـه هـو نفسـه يـرى البدايـة لريتشـرد: رعبـه و قسـوته و خداعـه الغيـر أخلاقـي الـذي يعنـي بأنـه يغـوي فـي مقابلـة واحـدة إمـرأة رجـل قُتـل لتوه.

تتماشـى الرغبـة لإعتمـاد عمـل شكسـبير للقـراءة مـع رؤيـة بلـوم للشـاعر وتتماشـى مـع أعمالـه فـي المصـطلحات الدينيـة بطريقـة علمانيـة، كـالنبي الحكـيم والكتـاب المقدس للكرامة والتنافس في القراءات هي واحدة من خدمة الكنيسة.

يسـتطيع المـرء أن يتخيـل جـرس فضـي يـرنُ و يتحـولُ إلـى مبخـرة فـي بدايـة ونهايـة المناجـاة أو الصـمود الـذي يـتم ملاحظتـه حينمـا يدنـدن الأسـقف بلـوم بكلام فاحش لنفسه عند حبس أنفاسه فهو كلامٌ غير مناسب لتسمعه الأذن.

تـم إعطـاء الإجابـة أعـلاه. تطـور عمـل شكسـبير جـزء كبيـر مـن إحيائـه. ونسـتطيع أن نكتشـف ذلـك مـن خـلال مجموعـة متنوعـة مـن طرقـه بأنـه دائـم الصـلة بـه. إن أسـوأ نـوع مـن التقـوى هـو تقـديس شكسـبير كمـا يريـد منـا بلـوم. وهذا لقتل شكسبير وتحنيطه و دفنه.

المراجع

1- Glosbe Multilinqual Dictionary (online)

2- Dictionary of Chirstian Church

3- Bony, Jean (1983). French Gothic of Archittecture of Twelfth and Thirteenth Centuries

4- Bumpus, T. Francis (1928). The Cathedrals and Churches of Belgium .T. Werner laurie

5- Fletcher, Banister (2001). A history of Architecture on the Comparative Method

6- (Willis. Eizabeth). A public History of the Dividing Line

7- Oxford Dictionay of National Biography (Oxford University Press, sept 2004)

8- القاموس الحقيقي للآثار الكلاسيكية للوبكر

9- كتاب عيوب الأنباء في طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة. نسخة محفوظة 27 أبريل 2005م على موقع Whyback Machine

10- مأساة عطيل مغربي من البندقية (تأليف وليام شكسبير)

11- موسوعة بريتانيكا 1768م

12- كتاب جوتة و العالم العربيللمؤلف الألماني (1749- 1832)

13- ملحمة جلجامش1853م (نسخة محفوظة على موقع Whyback Machine)

14- قاموس آباء الكنيسة و قديسيها مع بعض شخصيات كنسية (للقمص تاردس يعقوب ملطي 1986م).